حـانَ دورك

عنوان الكتـاب: حـانَ دورك
المـــوضـــــوع: روايـة
التـأليـــــــف: رناد شريف
مراجعة لغوية: منشورات الفنار
الإخـراج الفنى: محمود عنتر
تصميم الغـلاف: محمد محسن
رقـــم الإيـداع: 1838 / 2021
الترقيم الدولى: 1 -187 -844 -977 -987
الناشـــــــــر: منشورات الفنار

www.facebook.com/elfnaar
elfnaar@gmail.com

ڤيلا الأشراف- أمام بوابة هليوبوليس- مدينة بدر- القاهرة الكبرى
المدير العام / أ. مصطفى أمين

منشورات الفنار

01013483506
01550102499

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

حــانَ دورك

روايــة

رِنــاد شريف

إهـــداء

بالرغـم مـن يقينـي أنكم لـن تقرؤوا هـذا الكتـاب إلا أني أهديه لكم.. لعلّ لقاءنا قريب.

إليكم.. أبطال هذه الرواية.

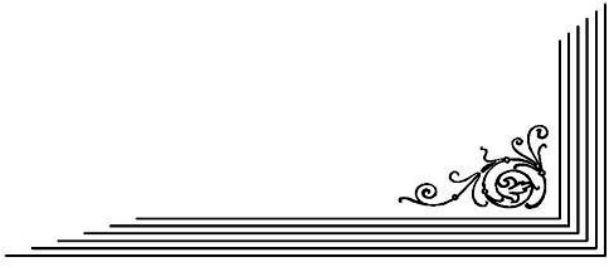

تنويــه

هـذا العمل لا يمس للواقع بِصلـة، ولا يتحدث عن أي أحداث حقيقية..

وأي تشابه بينه وبين الواقع فما هي إلا محض صدفة.

ملحوظـة

ليسـن كل ما تقرأه صحيح، وليس كل ما يُكتب صادق، فالكتابة ما هي إلا سلاح شديد الخطورة.. إما أن يقتلك أو يحميك!

في الكتابـة لا تحتاج سـوى حروفك، وسِـرّك، لتصنع شفرتك الخاصة، وقارئ يحاول فك تلك الشفرة.. لعلك أنت من سيتمكن من فكّها؟

(1)
نـورسيـن

كانت تجلس في غرفة الاستقبال تنتظر حتى يحين دورها لمقابلة الطبيب، لقد انتظرت طويلاً لكن ذلك لا يهم في مقابل ما هي آتية إليه.

خرج صوت الممرضة تنادي:

- مدام حنان عبد الرحمن

- أيوة

- تقدري تدخلي للدكتور

- شكرًا

مـا أن دخلـت الغرفة حتى بـدأت بالنظر حولها، ذلـك المكتب التقليدي المليء بـالأوراق، الكرسـي الذي يجلس عليه الطبيـب، الكراسـي المقابلة للمكتب، الكم الهائل من الشهـادات الموضوعة داخل دولاب صغير، السرير الموضـوع في نهاية الغرفة، والأباجورة الموجـودة بجانب السرير التي تصدر ضوءًا خافتًا.

قاطع الطبيب تأملها قائلاً:

- مدام حنان اتفضلي

لاحـظ الـتردد الشديـد في تصرفاتهـا فابتسـم لهـا؛ في محاولـة منه ليطمئنها، فجلست لكنها بقيت تنظر للأرض دون أن تنطق بكلمة.

- اتفضلي.. أنا سامعك!

نظـرت للطبيب للبـدء في الحديث لكن سرعان ما عـادت للصمت مرة أخرى، وأخفضت بصرها مجددًا.

– طيب ممكن تعرفيني على نفسك؟

قالت بانفعال:

– أنـا مش جاية علشاني.. أنـا جيت لحضرتك عشـان بنتي، بصراحة كنت مترددة أوي من الخطوة دي لكن مفيش حل تاني

– ممكن توضحي لي قصدك؟

– بنتي.. بنتي عملت حادثة من فترة ودخلت في غيبوبة.. بس الحمد لله فاقت وبقت كويسة، لا معتقدش إنها كويسة!

– حضرتك أنا دكتور نفسي مش...

قاطعته بصوت مكسور:

– بنتـي شافت حاجات وهي غايبة عن الوعـي عادي يعني زي ما بنحلم واحنا نايمين.

– أيوه فين المشكلة؟

– المشكلـة إنها مقتنعة إن اللي هي شافته ده حقيقي.. مقتنعة إنها كانت صاحية وراحت مكان شافت ناس و..

قاطعها الطبيب فجأة وكأنه تذكر شيء ما:

– أنا عايز أقابل بنت حضرتك

تنهدت الأم بإحباط وأردفت:

– مكنتش جيـت لحضرتك.. هي رافضة تمامًا إنهـا تروح لدكتور، مش عايزة تقتنع برأي حد غير نفسها.

– آاااه.. طبعًا حضرتك عارفة إني كطبيب مقدرش أساعد المريض طُول

ما هو مش عايـز يساعد نفسه، يعني من الآخر مينفعش أعالج مريض مش معترف بمرضه!

- ما هو أنا مش عوزاها تعرف إنك دكتور.

بسخرية قال:

- آسف يا مدام، بس الحقيقة إن الكلام ده مبيحصلش غير في الأفلام.

- يعني أعمل إيه يا دكتور؟

- أنا هسألك شوية أسئلة كده عن بنتك ممكن من خلالها أقولك حاجة تساعديها بيها.. مبدئيًا كده اسمها إيه؟ وعندها كام سنة؟ بتدرس ولا خلصت؟

- اسمهـا نورسـين، عندها ٢١ سنة، مش بتشتغـل وبتدرس فنون جميلة بس ده كان قبل الحادثـة وهي موقفة دراسة السنـة دي وهترجع من بداية السنة الجديدة باذن الله

- مفهوم.. كان إيه سبب الحادث؟

- عملت حادثة بالعربية.. قدر ربنا.

قال الطبيب منتظرًا الإجابة: كانت في مستشفى إيه؟

- في مستشفى ×.....× بس ده هيفيدك في إيه؟

- يعنـي معلومات عاديـة.. اكتبي لي رقم بنتك هنا وأنـا هحاول معاها يمكن نوصل لحل

بعـد أن سجلت رقم نورسـين للطبيب أخذت حقيبتهـا لترحل، فأوقفها الطبيب قائلاً:

- أنا لسة مشوفتش حالة بنتك.. بس اللي واضح لي من كلامك إن بنتك

مش محتاجة دكتور نفسي، بنت حضرتك محتاجة حد يصدقها لأنها نفسها مش عارفة تصدق اللي هي شافته ولا لأ، على كل حال أنا هبذل جهدي على أمل إني أقعد معاها ووقتها هقدر أساعدك باذن الله.

- شكرًا، أستأذنك.

****

خرجـت حنان من العيادة عائـدة لمنزلها، فوجدت نورسين لاتزال نائمة وأختهـا ندى تشاهد التلفـاز، سألتها حنان عمّـا إن كان والدها قد عاد من العمـل بعد، فأومـأت برأسها أن "لا" ولم تُكمل الإيمـاءة حتى سمعن صوت قفـل البـاب يُفتـح، معلنًا وصول الأب. نظـرت له حنان نظـرة قلق لم يفهم معناها، ثم دخلت الغرفة؛ لتغيير ملابسها فلحق بها، وأغلق الباب:

- كنتي فين يا حنان؟

- روحت للدكتور يا مصطفى

- ليه؟

- عشان خاطر نورسين..

- بـس نورسين مش تعبانـة، حتى الدكتور طمنّي علـى وضعها آخر مرة كنا في المستشفى.

- أنا مش قصدي كده..

- أمال قصد.. أوعي تكوني روحتي للدكتور النفسي اللي قولتي عليه؟!

- ايوة روحت

- إنتي اتجننتي يا حنان وعاوزة تجنني البنت معاكي!

– يعني إنت شايف الكلام اللي هي بتقوله هو اللي عاقل أوي؟

– إنتـي ناسية إن بنتك كانـت في غيبوبة؟ يعني طبيعي جدًا تكون شافت حاجات وهي غائبة عن الوعـي وطبيعي إنها متكونش قادرة تستوعب إن كل ده خيال.. قدّري اللي هي فيه واسمعي منها مش تروحي لدكتور!

– لا مش ناسية، بس هي مش قادرة تسمع غير صوت نفسها قولت يمكن لما تتكلم مع حد تبـ.....

– وليه تتكلم مع حد وأبوها وأمها واخواتها موجودين؟ يا ماما الدكاترة دول هيدخلونا في دوامة نصب ومش هييجي بنتيجة!

– لا نصـب ولا حاجـة ده دكتـور، وبعدين خلاص بقى يـا مصطفى أهو اللي حصل

– لا حول ولا قوة إلا بالله.. ربنا يهديكي.

فتح مصطفى بـاب الغرفة ليجد نورسين تقـف أمامه ولازالت علامات النعاس ظاهرة عليها فعانقها ونظر إلى والدتها قائلاً:

– بقى القمر دي تروح لدكتور نفسي.

ضحكت نورسين على جملة والدها، ثم تركت عناقه لتساعد أمها –التي ظهـر عليهـا ملامـح الغضـب– في تحضير الطعـام، اقتربت منهـا دون أن يلاحظهم أحد ثم همست في أذنها قائلة: "شكرًا"، فأجابتها بابتسامة.

بالرغم من احتياجنا جميعًا لطبيب نفسي إلا أننا لا نعترف بالأمر وكأنه إثـمٌ عظيم على من يخضع له. لكن لأصدقكـم القول كثيرًا ما نكون بحاجة إلى أشخاص صادقين بقربنا، نثق بهم ونخبرهم عمّا في صدورنا دون قيود.

والشخصـ الوحيـد القادر على تحديـد مدى احتياجه للشـئ هو أنت.. فقط أنت.

(2)
لربما الحل في مكالمة

لا تستهـين بالمكالمات الهاتفيـة، فدقيقة واحدة قادرة على تغيير يومك.. إما للأفضل أو للأسوأ.

تلـك المكالمات التي تطورت مع السنـوات فأصبحت وسيلة سهلة لتقريب من هم بعيدون عنك، ولكن في حقيقة الأمر هي ليست سوى أداة مجردة من المشاعر توهمك أنك قريب ولكن هنالك العديد من الحواجز تمنع اقترابك.

فكـم من أحباءٍ افترقوا بسببها، ربمـا إن اجتمعا الحبيبان بدلاً من تلك المكالمة لكانا الآن معًا؛ كان ليتمكن من رؤية دموعها وكانت لترى هي اشتياقه.

إن كان الصديقـان معًـا لما اختلفا؛ كانا ليُـدركان أن النقاش جرى على سبيل المزاح وليس التحدي كان الخلاف انتهى بضحك أحدهما، ثم ضحك الآخر على الأول.

لولا وجود المكالمات لما كان الآن آلاف الشائعات تتنقل بسرعة البرق.. بل أسرع!، دون وضع ثانية واحدة للتأكد من صحة ما يتم نقله.

ولكـن لا يمكننا القـول إنها تفتقر تمامًا للإيجابيـات.. فبعض المكالمات تكون كَطوق النجاة لأحدهم.

بعد أن جلس الجميع لتناول الطعام، قالت حنان بحزن:

- والنبي مش القعدة دي ناقصة أخوكم؟

ردت نورسين: إنتي محسساني أنه مهاجر ليه يا ماما؟!

أجابت ندى: قلب الأم بقى.

تدّخـل والدهم موجهًا الحديث لحنــان: مش إنتي اللي قعدتي تزنّي على دماغه.. عايزة أفرح بيك؟ أديكي فرحتي يا أختي.

– مكنتش عارفـة أنــه هيوحشني كـده، كنت جوزت واحـدة من البنات وسِبت أحمد.

– أنا من رأي نقوم احنا يا نور عشان شكلنا بقى وحش أوي.

– كلها كام شهر وتحصليه يا ندى.

قاطـع مصطفى ضحكهم قائلاً بنـبرة جادّة: صحيح يا ندى ابقي عرّفي خطيبك إني عايز أقابله.. أقولك هبقى أكلمه أنا.

نظرتا الفتاتان لبعضهما بريبة، فهمست نورسين في أذن أختها:

– ربنا يستر..

رن هاتـف نورسين فذهبت لإحضاره من الغرفة، نظرت في هاتفها لترى رقم غير مسجل فأجابت؛ ليُعلن المتصل عن هويته:

– أنا دكتور علي.. ممكن آخد من وقتك دقيقة؟

لم تنتظـر لتسمع مـا سيقول؛ اكتفـت بإنهاء المكالمـة دون إجابة. دخلت المطبخ لتغسل الصحون، فعاود ذلك الرقم الاتصال مجددًا، أجابت على مضض:

– نعم؟

– أنا دكتو....

– عرفت.. حضرتك عايز إيه؟

– عايز أقابلك، وأتكلم معاكي شوية.. أنا عايز أساعدك مش أكتر!

- ومن امتى الدكاترة هما اللي بيكلموا الناس عشان يساعدوهم؟
- أنا مش بكلمك من الباب للطاق.. والدتك قالتلي إنك بتشوفي حاجات و...
- شكرًا لجهود حضرتك أنا مش محتاجة دكتور

أبعـدت الهاتف عـن أذنها؛ لتغلق، لكنهـا سمعته يقول شيئًـا منعها من ذلك، فعادت لتحادثه قائلة:

- قولت إيه؟!
- أنا مصدقك.. اللي إنتي شوفتيه ده مش خيال، إنتي صح.

لوهلة شعرت أن هنالك من يفهمها.. يصدقها.. لكن كيف له أن يصدقها وهـو لم يسمعها حتى؟ الكثير من المشاعـر المتداخلة.. هنالك حرب داخلها تخبرهـا أن تقابله وتحكي له ما حدث معها، وأخـرى تخبرها أنه طبيب لن يصدقها هو فقط يقوم باستدراجها كي تخبـ.....

أوقفت كل الصراعات القائمة داخلها وقالت:

- أنا مستعدة أقابل حضرتك..
- هبعت لك مكان عيادتي.
- لا مش في العيادة.
- خلاص اختاري المكان اللي يريحك!
- نادي الجزيرة عارفه؟
- أكيد
- تمام الساعة ٦ كويس؟
- بصراحة مش متأكد هرجع لجدولي وأرد عليـ.. ×سكت الطبيب برهة

يحـدث نفسه: ربمـا لا تجيب عليّ مجـددًا وربما تهـرب.. وإن كنت منشغل سأفرّغ نفسي لها، ساعة لن تضر× خلاص بكرة الساعة ٦ إن شاء الله.

وانتهت المكالمة.

بالرغـم من عدم ثقتها في نجاح ما خططـت له، لكن المحاولة مرارًا لن تضُـر؛ بل ربمـا تكشف لها أبوابًا أخرى لم تعي وجودهـا من قبل، ولم يعِقها القلق من الفشل، عن السعادة كون الأمر يسري على ما يرام حتى الآن.

هـي على يقين أن الله لن يتركهـا تائهة هكذا طويلاً.. علـى الدائرة أن تُغلق، وعلى الطريق أن ينتهي.

لا تحـب نورسين أن تنشغل كثـيرًا بالأفكار السلبية لـذا قررت أن تترك الغـد للأعلى من كل شـيء هو وحده الذي يُحسن تدبير كل شيء من حولنا، قادر على تدبير حياتها..

إنـه فقط الله.. من نلجأ له في أي وقـت، ونحكي له كل شيء دون خجل، ونطلـب منه ما نتمنى دون حرج، وفي المقابل هو يكرمنا.. ويسترنا.. ويحقق لنا ما نتمنى بل أضعافه!

(3)
هي أغلى من كنوز العالم.. الثقة

خرجـت نورسين من غرفتها إلى الصالة حيث يجلس والدها مع أمها، وطلبـت أن يرافقها للشرفـة؛ فلديها ما تحدثه بشأنه، وقـد فعل، قال الأب بوجهه البشوش:

– خير يا ست نور؟

– الدكتور اللي ماما راحت له كلمني..

تغـيرت ملامح الأب فورًا، وقال: كبّري دماغك يا نور، إنتي عارفة أمك عليها حركات غريبة شوية و..

قاطعته نورسين: أنا قررت أقابله يا بابا

– وده من إيه؟

– مش عارفة.. بس يمكن يقدر يساعدني

– يساعدك في إيه؟

– معرفش.. بس أنا فعلاً مش فاهمة اللي أنا مريت بيه ده بجد ولا خيال زي مـا بتقولـوا، أنا عايزة أوصـل لحاجة واضحة لأني حاسـة إن كل حاجة مشوَشة.. يمكن الدكتور ده يساعدني ويمكن لأ.. مش عارفة!

– طب وإنتي بتقوليلي ليه دلوقتي؟

– عشان تكون عارف، وعشان اطمّنك.. ويمكن لو اتكلمت مع الدكتور ده يفهم حاجة وأطمّن ماما برضه!

- ماشي يا نور اعملي اللي يريحك.. بس اعرفي كويس أوي إنك مش مريضة!

- أنا عايزة أقابل الدكتور عشان أثبت لكم ده..

وضع يده على كتفها ثم أردف: ماشي يا حبيبتي، متنسيش تقفلي البلكونة وإنتي طالعة

خرج مصطفى وبقيت نورسين تنظر على المارة، أي مارة؟، إنها تنظر للاشئ.. لا أحد في الشارع.. الجميع نِيام وربما يقظة، لا يعلم عنهم أحد.

ظلّت تنظر للمباني وتفكر.. هل خلفها أحد مر بمثل حالتها ويبحث عن شخص مثله كما تفعل هي؟، هل هنالك شخص يبحث عن آخر يثق به ويحكي له ما يمر به دون تجاوز أي حدث!

ترى هل هنالك شخص يستحق أن تثق فيه حتى تصل لتلك الدرجة التي تجعلك تحكي له كل شيء عنك!

بالنسبة لنورسين فالأمر بغاية الصعوبة، التجربة جيدة في كل شيء باستثناء الثقة!، إياك أن تُجرب الأشخاص في الثقة، فالثقة كالماء العذب إن تلوث لا يمكن أن يعود صالح للشرب، فإن فقدت الثقة في أحدهم سيصبح الأمر شاق أن تثق في آخر.. لذا تأمل قبل أن تضع ثقتك في شخص.

وهي ترى أن الله وحده من يستحق ثقتك، فلن يفضحك ولن يمل من شكواك ولن يتركك وحيدًا ولن يخذلك أبدًا، وإن احتجت لصديق فاطلب من الله أن يرزقك خير صُحبة تكُن لك عون وملجأ.

الثقة: هي كل ما يملك الإنسان من مشاعر، ذكريات، ضحك، ألم، كل ما حدث له، وكل ما سوف يحدث.. العديد من الأشياء التي يصعب على

الإنســان الاحتفاظ بها وعيشهــا وقضائها بمفرده، فيبــدأ رحلة البحث عن شريك، يُقاسمه كل ما يُحب وكل ما يبغض دون أن يمل.

بعد تفكير طويل أخذت نفس عميق.. تنهدت.. نظرت للسماء.. أغمضت عيناهــا.. قالت الكثير والكثير دون أن يتحرك فاهها، يكفيها الحديث الذي يقوله قلبها ويعلمه ربها.

خرجت وأغلقت الشُرفة كما أخبرها والدها وذهبت لتغيير ملابسها والنوم..

****

كان الوقت يمر ببطء ليقترب عقرب الساعة الصغير من الرقم ستة!

جالســة تنتظر موعدها بفــارغ الصبر، عيناها لم تفــارق الساعة، حتى وصلــت لـ الخامســة والنصف، حينهــا ابتسمت ابتسامــة واسعة ثم دخلت غرفتها، لا تعلم ما الذي يجدر بها ارتداؤه.. ولِمَ تفكر؟، إنها ذاهبة لمقابلة بسيطة.

أخرجــت مــا ســوف ترتديه ثــم وقفتَ أمــام المــرآة تُعــدّل حجابها، لم تملــك يومًا أعين زرقاء أو خضراء، ولا بشــرة صافية كتلك التي نراها لدى الممثــلات، ولا شعر لامع ضد التساقط.. بل كانت تمتلك ما هو أفضل؛ حبها لذاتها، ترى نفسها جميلة دون مساحيق التجميل والملابس المبالغ بها، أحبت مظهرها الطبيعي فكيف لا ترى نفسها جميلة؛ والله خلقها في أجمل حال!

خرجت من الغرفة، وقفت أمام باب المنزل ترتدي حذائها.. فلحقت بها أمها لتسألها:

- على فين إن شاء الله؟

- ما إنتي عارفة كل حاجة، اللي بدأت فيه لازم أكمله ×غمزت لها ثم رحلت×

فور أن وصلت النادي، وجدت الطبيب يتصل بها فأجابت بعد أن أخذت نفس عميق، ليخبرها أنه وصل وينتظرها في المكان المقصود.. إنها نقطة لصالحه، يحترم المواعيد إذًا يستحق الاحترام، كان ذلك ما قالته نورسين في عقلها ثم بدأت بالإسراع حتى لا تتأخر.

بعد أن اقتربت وجدت العديد من الأشخاص وهي لا تعرف شكله، لكنها رأت -رجل ثلاثيني بنظارة لها إطار نحيف، يرتدي ثياب تبدو رسمية إلى حد ما.. ملامحه حادة وصريحة؛ جعلتها تشعر بصرامته، لكن لون عينيه الخضراوتين جعل الأمر أقل حدة- لا تعلم هل هذا هو الطبيب أم لا، أمسكت هاتفها واتصلت برقمه فوجدت ذلك الرجل يجيب على هاتفه حينها أدركت أنه هو.. اقتربت من الطاولة التي يجلس عليها، فنظر لها بعدم فهم حتى قالت:

- أنا نورسين
- وقف مسرعًا: أهلاً وسهلاً.. اتفضلي
- قالت وهي تجلس: شكرًا
- تحبي تشربي إيه؟
- ممكن نأجل الشرب لوقت تاني؟
- مفيش مشكلة طبعا
- .....

- قال الطبيب بمزاح؛ قاطعًا حاجز الصمت بينهما: الصمت يسود المكان!

ابتسمت نورسين واستمرت في صمتها تاركة مجالاً له ليبدأ الحوار قائلاً:

– والدتك قالت لي إنك شوفتي حاجات وإنتي غايبة عن الوعي و....

– كمّل!

– أيًا كان اللي إنتي شوفتيه فأنا مصدقُه

– دكتـور علي اللي أنـا شوفته مش حاجة غريبة لكن صعب حد يصدقها من غير ما يشوفها

– طب إيه رأيـك تحكي لي اللي شوفتيه.. وأوعدك إن مهما كان كلامك غريب أنا هصدقه..

– تنهـدت ثـم قالت بصـوت خافت: هثـق في إنك تكون مُرشـد ليا مش العكس.. وهحكي.

كلما اقتربت كلما أصبحت رؤيتك مشوشة، متحيزة، غير واضحة. ابتعد لـترى الصـورة أوضح، فهنالك العديـد من الأشياء المخبـأة داخل ما تراه، وكلمـا اقتربـت كلما قل عدد ما يمكنك رؤيتـه، إن كان في لوحة، وإن كان في بني آدم!

ولكن احذر.. لا تتجاوز حد الابتعاد فتَنسى وتُنسى..

فلا تقترب حتى تُعمى بصيرتك، ولا تبتعد لدرجة تمنعك من الإبصار.. كن على مسافة مريحة للعين.

كان طبيـب العيـون صادقًا حينمـا أخبرك أن تترك مسافـة بينك وبين التلفاز لا تقل عن مِترين إلى ثلاثة أمتار، لكنه نسي إخبارك أن الأمر ينطبق على البشر أيضًا؛ فهم أشد خطورة!

(4)
عليك اختيار الطريق

على الأغلب أصعب الأمور التي تواجه المرء هي اتخاذ القرار، فهو يشكل ضغـط كبـير وإن كان في أمور حياتيـة بسيطة: كالملابس.. فقـد تقف أمام المـرآة خمسـ ساعات لتقرر ما عليك ارتدائـه، أو أن تقف أمام نادل مطعم ما، بالساعات لتقرر ما سوف تطلب!

ولكـن عندما يكون الأمـر في أشياء أكثر أهمية حينهـا تكون المجازفة.. مما يعني ضغط مضاعف، قلق أكبر، وتركيز مبالغ.

مهمـا بـدا الأمر صعـب، في النهاية عليك اتخـاذ القـرار وإلا لن تسير الحياة، أو ستسير. لكن بدونك!

ستبقـى أنت في مكانك.. لذا توكل على الله، وتدبر الأمر، ثم قرر لا يهم إن كان قـرارك مثـالي.. ففي الكثير من الأحيان تكـون بحاجة قرار خاطئ للعثـور علـى الطريق الصحيح، فليس كل ما هـو خاطئ مدمّر، بل كل ما هو خاطئ مُعلِّم.. خذ قرارك وسر في طريقك..

وها هي نورسين تخطو أول خطوة في دربها، لعلها خيرًا.

أخذت نفس عميق وبدأت بالسرد:

- هحاول أحكي بالترتيب

- اتكلمي براحتك

- حضرتـك عرفت من والدتـي إني كنت في غيبوبة، بس الحمد لله مش

مدة طويلة، وأنا غايبة عن الوعي شوفت حاجات.. تقدر تقول روحت مكان.. أو قابلت ناس

قاطعها علي: طب واحدة واحدة عشان أقدر أفهم!

– مش عايزة أحكي تفاصيل دلوقتي.. أو مش جاهزة..

– علـى فكرة يا نورسـين أنا حاليًا بكلمك كصديـق مش طبيب، وعشان كده عايزك تتكلمي براحتك..

– شكرًا

– على إيه؟، أنا لسة معملتش حاجة!

– لأ بجد شكرًا، أنا فعلاً كنت محتاجة أتكلم مع حد.. أنا أول مرة أتكلم مع حد غريب عن نفسي!

– احنـا أساسًا متقابلين عشان تتكلمي.. يعني مش عقل إننا نضيع وقت على الفاضي، واحنا عندنا هدف عايزين نوصل له.

– صح..، هو أنا ممكن أسألك سؤال؟

– اتفضلي

– ليه اخترت الطب النفسي تحديدًا؟

فكّر قليلاً ثم أردف: تقدري تقولي عشان مفيش حد في الدنيا مش بيمر بحالـة نفسية، لكن في حـالات بسيطة بتـدارى بالأيـام والأشخاص فـ مش بتكون باينة أصلاً لدرجة إن صاحبها بينساها، وحالات من كتر ما هي باينة صعب أوي الأيام أو الأشخاص يداروها.

– طب وحضرتك مين فيهم؟

– أنـا يا ستـي مـن الأشخاص اللي بتحـاول تخفف وجع الحـالات اللي مبتخفش بالأشخاص، معقدة مش كدة؟

– أنا قصدي إنت أنهي حالة منهم؟، ×لم تجد منه ردًا× إيه؟

– تصوري أنا عمري ما سألت نفسي السؤال ده!

أضافت ضاحكة: شكل باب النجار مخلّع، خلاص بلاش أسئلة، هستأذن أنا علشان اتأخرت

– استني.. ميعادنا الجاي امتى؟

– أنا اللي حددت ميعاد النهاردة، يبقى الميعاد الجاي عليك

– والبنزين على مين؟

– لا دي مقابلة أصدقاء يا دكتور، عن إذنك

– اتفضلي

رحلـت نورسـين بعد أن شعرت بالقليـل من الراحة، ورحـل على بعد أن ازداد حملـه.. يـودّ مساعدتها لكنه يخشى كونه عاجـزا! أثار كلامها ريبته؛ نورسين ليست مريضة نفسية إنها تمر بما هو أكثر تعقيد.. للمرض النفسي علاج، ولا علاج لما تمر به، فهو على دراية كاملة بما حدث مع نورسين. الأمر صعب لكنه يجب تجاوز الصعوبات..

****

عـادت نورسين لمنزلها فوجـدت والدها قد وصل بالفعـل، وفور أن رآها أخذها ليتحدثا:

– شكلك مبسوطة؟

- بصراحة اه..
- عملتي إيه؟
- اتكلمت وحكيت له.. حسيت أنه ممكن يساعدني
- الدكتور ده إسمه إيه؟ عيادته فين؟ منين؟ عنده كام سنة؟
- إسمه علي
- سكـت والدها ينتظـر أن تُكمل فأدرك بعد ذلك أنها انتهت: بس كده!، ده اللي تعرفيه عنه؟
- مشـ هحتاج أعرف حاجة تانية، أنا أصلاً مشـ بقابله على إنه دكتور أنا بقاب....
- قـال والدهـا وقـد أظهـرت ملامحـه الغضـب: أمـال قابليتـه ليـه؟ وهيساعدك ازاي يعني وإنتي بتقولي مش رايحة له لأنه دكتور!
- يا بابا افهمني
- أفهـم إيـه يا نور! إنتي اتجننتـي؟ إنتي تعـرفي إذا كان دكتور فعلاً ولا بينصـب عليكي؟ وبعدين إنتـي فاكرة أنه قابلك عشـان عايز يساعدك لله وللوطن! لازم يكون له غرض من وراكي
- يـا بابا هـو خد رقمي عـن طريق ماما أصـلاً، وماما كانـت عنده في العيادة أكيد مكلمتهوش في الشارع، ثمّ هيكون إيه غرضه يعني!
- بيكدب عليكي إنتي وأمك
- هو جاي يخطبني يا بابا! ده دكتور مش هيشوه سمعتـ...
- نورسين الموضـوع مُنتهي.. الدكتور ده متشوفيهوشـ تاني، أنا سيبتك

تجربـي مرة على أمل إنك تقتنعي أنـه أي كلام، مش تيجي تقوليلي حسيت أنه هيساعـدني! تقدري تقوليلي عملّك إيه يساعـدك؟ واللي عمله ليكي أنا مستعد أعمله معاكي بس هكون مطمن عليكي في نفس الوقت.

خـرج والدها من الغرفة غاضبًا وبقيت نورسـين في مكانها، تشعر وكأن أحدهـم حطّـم المصبـاح الوحيد الـذي أضاء عتمـة قلبها. موقـف والدها غريـب، لا يناسـب شخصيته ولا طريقته، هـي تعلم أنه يحبهـا ويخاف أن تُؤذى.. لكن هنالك العديد من الطرق التي يمكنه من خلالها إخبارها بذلك غير الصراخ، والغضب. لا تجد له مبرر ليغضب وهو على علم بتلك المقابلة.

(الصـراخ، الصوت المرتفـع، الغضب، التكسير، الحـركات العدوانية) مجموعة من الصفات إن تملكتك جعلتك خاسراً وإن ظننت العكس!

توهمك أنـك الأعلى، الأفضل، الذي يستمع لـه الجميع، وفي الحقيقة.. أنت الأضعف، الأجبن، الذي يفتقد الثقة فيما يقول ولا يستمع له أحدًا.

❋❋❋❋

دخلـت نورسـين غرفتهـا وغيّرت ثيابهـا ثم ذهبـت لوالدهـا، فوجدته يتحـدث مع أمها بغضب جعلهما لا يدركان وقوفهـا، فلم تستطِع منع نفسها من استراق السمع، كان والدها يلوم أمها على ذهابها للطبيب وفتح باب لن يأتـي من ورائه الخير؛ مـبررًا أن ما مررت نورسين بـه لم يكُن سوى أوهام وربمـا تخاريف لا يجدر بنا إعطائها فـوق حجمها، فتدافع أمها عن موقفها أن الطبيـب سيساعدهـا ولـن يؤذيها وأنـه يجدر به الاعتراف بـأن هنالك خطب ما أصاب ابنته..

عـادت نورسين لغرفتها، بعدما أدركت أنه لا محل للنقاش.. أمها تظنها مريضة، ووالدها يراها تُهلوِس.

تعلـم أن لا أحـد يحبها مثلهما لكن ذلك لا يعنـي أنهما يفهمانها، هي لا تريـد أن تتحـدث مـع أمها كي لا ترى نظـرات شفقة ورأفـة في عينيها على ابنتهـا -بالرغم من علمها بحقيقة ما يجـري- إلا أنها تخشى نتائجه كمثل أي أم، ولا تستطيـع التحـدث مع والدها كي لا ترى نظـرات ملل وتكذيب في عينيـه تجاه أقوالهـا. الأمر مُتعب، ذلك الطبيب ليس مميـز لكنه بادرها بـ ردة فعـل جديدة، أظهـر لها اهتمام وإن كان لغرض آخـر فليكُن.. وإن كان يكـذب بشأن معاملته لها كصديق لا يهـم، في مقابل أن تجد من يعاونها في معرفة حقيقة ما رأته، بل ما عاشته.

كان الأمر صعب لكن كما قُلنا علينا اتخاذه..

❋❋❋❋

(5)
وإن بدا مستحيلاً فلنحاول

قررت نورسين أن تستمر في مقابلة على فهو أملها الوحيد بعد أن أدركت أنـه من المستحيل أن يقتنع والدهـا بما رأت أو يصدقه، لكنها لن تفعل ذلك دون موافقتـه؛ لـذا ستحاول إقناعه مجددًا.. حتى وإن بـدَا الأمر مستحيلاً عليك أن تحاول.

في صباح اليوم التالي:

خرجـت مـن غرفتهـا متجهـة إلى غرفة والديهـا، كانت نظـرة والدها توضّـح أنه يعلم ما هـي آتية لقوله فهو يعلم ابنته التـي تشبهه كثيرًا خاصة في عنادهـا؛ فإن أرادت شيء لا تتنازل عنه، وإن اقتنعت بأمر لا محل لتغيير رأيها به، بدأت حديثها بهدوء قائلة:

- مـن الآخر كـده يا بابا أنا مش لاقية سبب يخليك ترفض إني أقابل دكتـور علي.. أنا فعلاً ارتحت لما اتكلمت معاه وحسيت أنه ممكن يساعدني، لأني بجـد بقيـت تايهة مش عارفة أصدق إنها أحـلام وتخاريف، ولا أصدق إنها ممكن تكون علامة مرض، ولا إن اللي شوفته حقيقي.

- السبـب إني خايـف عليكي، ولو علـى تصدقي إيه فإنتـي أساسًا مش محتاجـة تفكـري في الموضوع، إنتـي شوفتي حاجة لفترة معينـة وانتهت ليه بتدّي الموضوع أكبر من حجمه!

"ليتـك تـدرك يا أبـي أن تلك الفترة لم تنتهي بعـد.. لازال كل شيء

قائم ولازالت الأحداث مسجلة في عقلي وهاتفي! فلا يمكنني التحكم بعقلي، ولا أعلـم مـن سجّل تلك الأحـداث في هاتفي، أراهـا في أحلامي ولا أتمكن مـن تجاوزها.. ليت من سجّلها يقوم بإزالتهـا.. ليتني أتمكن من النسيان" كانـت تلك كلمات راودت ذهـن نورسين لكنها لم تتمكن مـن نطقها فقالت بدلاً عنها:

– خايـف عليا يبقى تعالى معايا واقعد معانـا وخليك جنبي، مش تقولي متروحيش وخلاص

– وأنا فاضي أسيب شغلي عشان أقعد أسمعكم بتتسامروا؟

– اه تسيبـه، لـو عشان بنتك يبقـى تسيبه.. لما تلاقـي إن الموضوع فارق معايا بجد يبقى لازم تصدق إنها مش مجرد أوهام!

– نورسين...

– بابـا أنا عمري ما كسـرت لك كلمة.. بس مش هقـدر أعمل حاجة أنا مش مقتنعة بيها، خاصة لو الحاجة دي فارقة معايا!

– الحاجة دي ممكن تدمر لك مستقبلك

– إنت ليه محسسني إني قابلت سفاح!

– نورسين الموضوع انتهى، إنتي بتتكلمي في إيه؟

– لا منتهاش يا بابـا، أنا آسفة جدًا بس أنا عايـزة أكمل في الموضوع ده يمكن أوصل لحاجة

– ولو موصلتيش؟

– يبقـى اسمي حاولـت، المحاولـة والتجربة والسعـي وراء حاجة عايزة أعرفها مش غلط، بالذات لو الحاجة دي بتمسّني بشكل شخصي

تدخلـت والدة نورسين؛ للتخفيف من شـدة الحوار: خلاص يا نورسين، روحي دلوقتي وبابا هيفكر في الموضوع ده

- تنهد مصطفى ثم أردف: اسمعي كلام أمك

خرجـت من الغرفة لتجـد أختها تفتح باب المنزل عائـدة من المستشفى -نـدى في سنة الامتياز من كلية الطب- تساءلـت عن سبب ملامح الغضب التي اعتلت وجهها، لكن نورسين لم تُجِب بل غيّرت دفة الحديث سائلة أختها عمّـا إذا كانـت أخبرت ياسين -خطيبها- عن رغبـة والدها في لقائه فردّت ندى بالإيجاب ثم تركتها؛ لتغيير ثيابها.

دخلت نورسـين غرفتها وأغلقـت الباب، فتحت هاتفهـا فوجدت رسالة مـن علي على "الواتسـاب" يخبرها بالموعد والمكان للقـاء القادم.. لم تفتح الرسالة واكتفت بقراءتها من الخارج.. لا تعلم هل تخبره بما جرى أم فقط تخبره أنها ربما لن تراه للفترة القادمة؟

دخلت لوالدها مجددًا وسألته:

- قررت يا بابا؟

قالت حنان وهي تنظر لمصطفى وتغمز له: بابا وافق عشان خاطرك

قال والدها بعدم إكتراث: أتمنى بس بعد كل ده ييجي بنتيجة يا نور

أجابـت بمـزاح: إن شاء الله يـا بابا.. حسستنـي إني بقنعك توافق على عريس يا راجل إيه ده!

تذكـرت حنان شيء؛ فوجَّهت الحديث لمصطفى قائلة: صحيح إنت كنت عايز خطيب ندى في إيه؟

أجابها:

– هشــوف ناويين على إيه؟، البنت كلها كام شهر وتخلص فترة الامتياز وهو خلص الشقة عايز أعرف هما مستنيين إيه؟!

– وكلمته؟

– لسه.. كويس إنك فكرتيني

خرجـت نورسين من غرفتهما عائدة لغرفتهـا والسعادة تتملكها، فتحت رسالــة علي لتجـد أن العنوان لم يتغـير ولكن التوقيت اختلـف، فأرسلت له رسالة تخبره فيها أنها ستكون موجودة تمامًا على الموعد.

لا تفعـل سـوى الشـئ الذي تريـده، لا تتنازل عمّـا تود لمجـرد معارضة شخص آخر، فلا أحد سيشعر بما تشعر به، ولا أحد سيقدّر مدى احتياجك للشئ سواك.. فلا تجعل لقراراتك مُتحكم غيرك!

وهـذا لا يعنـي ألا تستشـير من حولك، بـل اجمع قدر هائل مـن الآراء، فربما تكون مخطئ.. لكن اجعل رأيك هو الأولى عند التنفيذ.

(6)
هنا تكمن البداية

في حيـاة كل فرد منّا موقف، أو شخص كانـت عنده البداية الحقيقية.. إما بداية النضج، أو الحب، أو التغيير، أو الحياة!

لـكل شخص وقت معين بـدأت عنده حياته.. لا أعنـي الحياة التي تدبّ فينـا فور ولادتنـا، بل الحياة الأخرى.. أن تجد سبب تحيا لأجله، أن تبدأ في تطويـر ذاتك وتحسينها، أن تعثر على ما كان ينقصك، أن تشعر أنك حي.. جميعنا لم نختار أن نحيا ولكن جميعنا قادرين على تحديد نوع الحياة التي سنحياها.

في اليوم التـالي استيقظت نورسين الساعة السابعـة صباحًا؛ استعدادًا لموعدهـا مع علي، وقد انتهت مـن ارتداء ثيابها سريعًا فـلا مجال لإضاعة المزيد من الوقت؛ فاليوم هو بداية الرحلة!

ذهبت لإخبـار والدها أنها ذاهبة فوجدته هو الآخـر يستعد للتوجه إلى عملـه، سألهـا عن سبب اختيار هـذا الموعد المبكر فالساعـة لاتزال الثامنة صباحًـا، فأجابته بدورهـا: "يعني كنت هترضى أنزل لـو كان متأخر" وقد كانت إجابة مقنعة لوالدها، فاكتفـى بتوصيتها بالاعتناء بنفسها والاتصال بـه إن احتاجـت أي شئ، وأضافـت أمها قبل أن تتركها ترحـل ألا تتأخر في العـودة لأن ياسين -خطيب ندى- سيزورهـم اليوم وعليها أن تتواجد معهم للمساعدة، أومأت بالإيجاب ثم رحلت مسرعة؛ حتى لا تتأخر.

****

بعـد وصول نورسـين وجدته يجلس على نفس الطاولـة التي جلسا عليها سابقًا، اقتربت منها وجلسـت، ألقى التحية عليها ثم سألها عمّا تود شُربه، لكنهـا لم تُبـدي رغبة في طلَب أي مشروب واكتفت بالميـاه، حاول مرارًا فتح حـوار معها؛ ليتمكن من استدراجها في الحديـث، وقد خابت حيلته؛ فكانت تصُد محاولاتـه بإجابات مقتضبة، لكنه لم ييأس ويبدو أن إصراره لم يضِع هباءً، فقد تمكن من جذب انتباههها بسؤاله الذي جاء بغتةً:

- إيه أكتر حاجة نفسك فيها؟

- أجابـت بعفويـة واندفاع: أبقـى شخص وجـوده بيفرق عنـد الناس، مبقاش كمالة عدد.. يكون لي أثر

أثناء حديث نورسين كان علي يتأمل ملامحها التي تغيرت بشكل مفاجئ، وتلـك اللمعة التي ظهرت في عيناها فاستبدلتها بابتسامة بشكلٍ سريع؛ ظنًا منها أنه لم يلْحظها.. فقد تغافلت عن كونه طبيب.

- نورسين حاسة إن اللي شوفتيه وإنتي في غيبوبة حقيقي بنسبة كام في المية؟

- ٨٠ ..

- والعشرين التانيين؟

- حاطة احتمال إنه يكون تخاريف

- وإنتي عايزة يكون إيه؟

- نفسـي يبقـى حقيقـة عشان أقدر أصـدق نفسي بعد كـده.. وفي نفس الوقت مشـ عيزاه يكون حقيقة، عشان صعب أوي البشاعة اللي شوفتها دي تطلع واقع!، على الرغم من إنه بيحصل الأبشع منها

- حابّة تحكي؟
- مش دلوقتي..
- حاول علي تغيير دفّة الحديث قائلاً: أنا جوعت، إيه رأيك نفطر مع بعض؟
- لأ معلش، بالهنا والشفاء لحضرتك.. مضطرة أستأذن
- اقعدي بس، حتى يبقى بينّا عيش وملح
- مرة تانية باذن الله.. عن إذنك
- اتفضلي

رحلت نورسين، وبقي علي محلّه، يُفكر في حالتها، وقد أدرك أن الأمر سيطول حتى تتمكن نورسين من رواية كل شئ له، يعلم جيدًا مدى بشاعة شعورها في هذه اللحظة، أن يحدث لك ما لا تفهمه، وتخشى أن تُخبر من حولك حتى لا تكون محل للاستهزاء، وإن قررت إخبار أحدهم فلن تجد من يُعينك على الفهم.

بدأ يشعر بالذنب كونه أحد المشاركين فيما يحدث لها...!

بعد أن رحلَت وانتهى علي من تناول إفطاره؛ فلم يمزح حينما أخبرها أنه جائع. طلب من النادل إزالة الباقي وإحضار الفاتورة، وما أن دفع ثمن الطعام حتى سمع صوت هاتفه؛ كان اتصال من سكرتيرته؛ تخبره باستياء المرضى لتأخره، فأخذ مفاتيحه ورحل عن المكان.

فور أن دخل عيادته طلب من الممرضة إدخال الحالة الأولى التي كانت في انتظاره، ثم دخل مكتبه وبدأ عمله بملل. في تلك الأثناء كانت نورسين وصلت منزلها وتناولت الطعام بالفعل، وبعدها نامت قليلاً ثم استيقظت

على صوت أمها توقظهـا؛ للاستعداد لمجئ ضيفهم الذي سيصبح جزء من العائلة عمّا بقريب.

خرجـت حنان مـن الغرفة بعـد أن تأكـدت أن نورسـين استفاقت، وفي الاتجـاه المعاكس كانت ندى، فدخلت غرفـة نورسين وأغلقت الباب، تعجبت مـن طريقـة دخول أختها، لكـن ندى لم تعطِهـا فرصة لتسأل عـن السبب، فبادرت هي بالحديث قائلة:

- بابا عايز ياسين في إيه وكمان كلّم أحمد قاله ييجي ليه!

- معرفش والله، بـس اللي سمعتـه إن بابا هيكلمه علـى الفرح، هو بابا رجع من الشغل؟

- لأ لسة، بس قال ربع ساعة ويوصل

- في إيه؟ متوترة ليه؟!

- مفيش أنا خايفة يحصل مشاكل

- لا مشاكل ولا حاجة متقلقيش

جـاء صوت حنان من الخارج وهي تصرخ قائلـة: ما تخلصوا يا بنات.. مش معقول كده!

- قالت نورسين: يلا عشان أمك متولعش فينا

****

بعـد أن انتهـوا مـن التنظيف وكان قـد وصل مصطفى بالفعـل وبعده بـ نصـف ساعة وصل أحمد وزوجته حياة، -حيـاة.. النقيض لنورسين وندى، جميلـة لدرجة تفـوق الوصف؛ بشرتها بيضـاء، ملامحها أنثويـة وبسيطة،

عيناهـا هي أكثر ما يجذب الأنظار إليها.. لونهـا يشبه كثيرًا تداخل الغيوم في السمـاء، سماوية تكاد تميل للرمادي، تعجز الأحرف عن وصف جمالها. شخصيتهـا مرحـة وبسيطة، وقـد ساعدها ذلك على التقـرب من نورسين ونـدى بشكل سريع- دخلن الثـلاث فتيات لتجهيز الطعام وأثناء ذلك بدؤوا بالحديث سويًا، قالت حياة وهي تمازح ندى:

- عروستنا الحلوة مينفعش توقف في المطبخ، المفروض تبقى في أوضتها بتظبط نفسها دلوقتي

- والله كلام سليـم.. بقولـك إيـه يـا حيـاة، مـا تاخدي نـدى وتدخلي تظبطيها شوية كده؟

- مش عايزة والنبي عشان هيقعد يتخانق معايا

ردت نورسين بسخرية: ليه إن شاء الله بيتكسف؟

ضحكت حياة ثم قالت: يا بنتي بيغير عليها.

ضحكن معًا، ثـم خرجن؛ لتقديم الطعام على المائـدة، همست نورسين في أذن حيـاة، أنهـا تشعر أن ندى منزعجة وقلقـة وتريد إخراجها من ذلك الإحساس قليلاً، فأومأت حياة بأنها قد فهمـت. جلسوا على المائدة وكانت السعادة تعُم المكان؛ فقد مرّ الكثير من الوقت على اجتماعهم معًا.

قال أحمد: يا!!!!!اه وحشني أكلك أوي يا ماما

تدخلت حياة بغضب: قصدك إني مش بعمل لك أكل يعني!

ردت نورسين: لا أوعي تفهميه غلط، هو قصده إن أكلك مش حلو بس

ضحكت ندى ثم قالت: إيه يا نورسين إنتي بتحبي تهدي النفوس ليه؟، يا حياة، أحمد يقصد أنك مبتعرفيش تطبخي يا حبيبتي

قال مصطفى: شايفة يا حياة بناتي!، عايش مع ريا وسكينة في البيت..

أجابتـه حنـان ضاحكة: على فكـرة يا حياة، جـوزك بيُجبر بخاطري.. معدش يعرف ياكل غير من إيدك

- لا طبعًا يا حبيبتي، ده أنا متعلمة منك..

قـال أحمد: خلصتـوا فقرة التريقة بتاعتكم؟ ماشي يـا نور إبقي شوفي مين هيوصلك بعد كده!

- طب اسكت بقى عشان إنت من ساعة ما اتجوزت واحنا منعرفش عنك حاجة

أضافت ندى: طبعًا.. من لقى أحبابه نسي أصحابه

- ماما.. فاكرة من كام سنة وأحمد في تانية جامعة لما كنّا قاعدين نفس القعـدة دي وسبحـان الله برضه كنا بنـاكل محشي، وراح قالـك: جواز إيه بس؟ هو أنا بتاع المرمطة دي

ضحـك مصطفى بشدة ثم أردف: أنا ملاحظ إن المرمطة عجبته، حلوة المرمطة يا أحمد مش كده؟

- عرفتوا أنا معدتش باجي المكان ده ليه؟!

بعـد أن انتهى الجميع من تناول الطعام، ذهبت نورسين لغسل الصحون وترتيـب المـكان، ودخلت حيـاة وندى لتجهيزهـا؛ استعدادًا لمجـيء ياسين، فقالت ندى:

- إنتي محسساني أنه أول مرة يشوفني!

- يـا بنتي خليه دايمًا يشوفك حلوة، صحيـح إنتي حلوة من غير حاجة، بس قليلاً من الحلاوة الزيادة مش هتضر برضه

قاطعهـن دخـول نورسـين تخبرهن أن ياسـين قد وصل بالفعـل فانتهوا سريعًـا من التحضير، وخرجوا بعد ربع ساعة لتقديم العصير، ثم الفاكهة، وبعدها جلسوا جميعًا منتظرين ما سوف يجري بينهم من حديث:

بدأ مصطفى الحديث: بص يا ياسين عشان ندخل في الموضوع على طول – اتفضل..

– أنـا كنـت عايز أعرف بالظبـط إيه خطتكم؟ أنا بنتـي فاضل لها كام شهـر وتخلص سنة الامتياز، وإنت ما شاء الله متخرج وبتشتغل، عايز أفهم إنتوا ناويين على إيه؟!

قال ياسين بابتسامة ساذجة: والله ياريت لو حضرتك تعرف تقولي.

نظر له مصطفى بعدم فهم لما يعنيه، فأكمل ياسين

– أنـا مـا عنديش أي مشكلـة نعمل الفرح الشهر الجـاي، الحمد لله أنا جاهز، لكن المشكلة في ندى.

– قال مصطفى: مالها ندى؟

– بتأجل في الموضوع كل شوية من غير سبب.

تدخلت ندى بحدّة: لا يا بابا هو عارف السبب.

قال أحمد: طب لما هو في سبب ما تقولوا لنا يا جماعة، عشان نفهم!

أردفت ندى: من الآخر كده ياسين عايزني أقعد في البيت.

عـاد مصطفى ليقول: لا ثـواني كده.. أنا أول مرة أعـرف الموضوع ده.. عايزها تسيب الشغل ليه؟

– بصراحة يا عمي مش شايف إن له لازمة، أنا الحمد لله بشتغل ودخلي كويس وباذن الله مش هخليها تحتاج حاجة

- ولما هو كده مقولتلناش ليه قبل ما تدخل طِب؟ كنا قعدناها في البيت وارتحنا!

تدخـل أحمد مُضيفًا على حديث والده: ثـمّ إن ندى مش هتشتغل عشان فلوس، نـدى بتشتغـل عشـان مجهودهـا طـول السنـين دي ميضعش على الفاضي، ده كيانها ومستقبلها.

قـال ياسين بطريقة حـادّة لا تشبهه: كيانهـا ومستقبلها دول على رأسي طول ما هي في بيت أهلها.

- عجبك الكلام ده يا ندى؟

قـال ياسـين دون أن يدع فرصة لهـا لتُجيب: وليـه ميعجبهاش! أنا عايز لهـا الراحـة.. ندى دكتورة يعنـي هيطلبوها في أي وقـت وهتتأخر في شغلها وهتختلط كتـير بالرجالة، ده غير المرضى اللي هتقابلهم واللي ممكن تكون أمراضهم مُعدية، أنا خايف عليها وشايف إن مفيش سبب يدعي لـ ده أساسا.

قـال مصطفى بغضب: أنا بسـأل بنتي، مسألتكش. هـا يا ندى عاجبك الكلام ده؟

- قالت ندى بتردد وحزن: لأ يا بابا.

نظر مصطفى لياسين بثقة وقال: هاه أديك سمعت..

- يعني إيه؟

- يعني ندى في بيت أهلها لما تبقى مستعد تاخدها هي وكيانها ومستقبلها، ساعتها ممكن أقابلك

استدار ياسين؛ ليرحل فأوقفه أحمد قائلاً:

- استنى يا ياسين..

واقترب من ندى قائلًا: اقلعي دبلتك.

نظرت له بخـوف، فابتسم لها يطمئنها، فخلعـت خاتمها على استحياء وأعطته لأخيها.

التقطها ثم أشار إلى ياسين:

- خد دبلتك، وياريت تاخد الباب في إيدك بالمرة.

خـرج ياسـين وبقي الجميع مصـدوم مما حدث، فلم تكُـن هذه طريقة حديث ياسين يومًا.. دخلت ندى غرفتها وجاءت نورسين لتدخل لكن أحمد منعها.

بقيـت ندى في غرفتهـا دون أن تُشعل الضوء، تنظر ليدها، لا ترى دبلتها ولكنها ترى أثرها، ترغب في البكاء لكنها لا تبكي، ترى ذكرياتهما سويًا ولا تراه!

ليست المشكلة بالفراق، بـل المشكلة الكبرى بالذكريات التي يتركها لنا، يبقـى كل شيء كما هـو باستثناء الأشخاص، يرحلـون، ويتغيرون. بإمكانك اختيـار الابتعـاد عـن أحدهم ولكن لا يمكنـك اختيار عـدم التفكير به قبل النـوم، أو عدم البكاء عنـد مرورك بمكان جمعكما يومـا، أو عدم الابتسام عند تذكرك موقف بينكما!

دخل أحمد غرفة ندى وجلس بقربها على السرير:

- زعلانة؟

نظرت له باستهزاء، فأكمل:

- معاكي حق سؤال غبي فعلاً، ياسين كلمك في الموضوع ده قبل كده؟

- أيوة

- وكان ردك إيه؟

– مقدرتشـ أقول لبابا لأني كنت متأكـدة أنه هيرفض، وفي نفس الوقت مكنش عندي الجرأة إني أرفض.. كنت خايفة يحصل زي ما حصل دلوقتي، عشان كده كنت بغيَّر الموضوع

سيبقى ما تخشاه هو أكثر شيء يلاحقك، حتى تقرر المواجهة.. وتنتظر النتيجة.

– عارفـة إن إنتي كبرتي في نظري لما رفضتي! ×نظرت له غير مصدّقة× مش بهزر والله، على فكرة أنا معاه جدًا في إنك تقعدي في البيت مرتاحة

– أمال اعترضت ليه؟

– عشان معجبنيش طريقـة كلامه، كأنه بيديكي أوامر، قولت ده بيتكلم كده قدام أبوها وأخوها، أمال لما يتقفل عليهم باب واحد هيعمل إيه؟!

– أنا برضه استغربت طريقته أوي، كإن واحد تاني اللي بيتكلم.

– طب بصراحة كده، زعلانة إني قولتلك اقلعي الدبلة؟ ×لم يجد إجابة× عارفة أنا عملت كده ليه؟

– ليه؟

– عشـان ميحسشـ إنـك ضعيفـة، وأنه بيضغـط عليكي بدبلتـه!، إنتي عارفة هو ليه جاي يتكلم كده؟، عشان حس لما كلمك قبل كده في الموضوع ده إنـك خايفـة تخسريه لو رفضتي، فقرر يلعب على الوتـر ده، إنتي اللي إدتيه الإحساسـ ده فبـدأ يستقوى بيه، يستغل حبك.. على فكـرة هو معملش كده عشان وحش، هو غرضه من ده مش وحش، بس الأسلوب هو اللي كان وحش. عشـان كده تعمدت أقولك تقلعـي الدبلة، عشان يعرف إن عمرك ما هتيجي بالقسـوة والغصـب، وإن حياتك مشـ هتوقف على شخصـ، وده اللي لازم

يعرفـه.. لو كنتي وافقتـي النهارده، كان كرر نفس الموقـف بكرة وبعده. وأنا مش عايز كده، الدبلة دي معمولة عشان تحتويكي مش تخنقك!

- قالت وهي تمسح عيناها: أنا بحبك أوي

- قال بمزاح: بتحبيني ولا بتحبي ياسين عشان أفهم؟

- هههههه خلاص بقى

- طب قومي اغسلي وشك، ومتفكريش كتير مع إني عارف أنه صعب! ربما لذلك خُلق الأخ.. ليكون الحبيب وقت الخذلان.

هنالـك علاقات كثـيرة في حياتنا لا نُقدر قيمتها سـوى في الأوقات التي نكـون فيها ضعفـاء.. فقط حينما تكـون ضعيف سترى مـن يحبك ويعينك لتصبح أقوى، ومن سعيد ويشاهدك تسقط من بعيد دون أن يُحرك ساكنًا.

-ياسين ليس من الشخصيات المتعجرفة، أو الغير مهذبة، بل هو العكس تمامًا وربما ذلك ما جعل الجميع يُصدم من أسلوبه اليوم، فقد اعتادوا على هدوئـه وتعقُلـه في الحديث على الرغم أنه من أصـول ×صعيدية× إلا أنه لم يكُن متعجرف أو عصبي كغالبية رجال الصعيد.. لقد اكتسب منهم كل شئ حسن، كالـ الرجولة، والاجتهاد، والإصرار، وكذلك الملامح.. أخذ منهم كل مـا هو جميل من صفات خَلقية وخُلقية، لكن ما رأوه اليوم لا يناسب صورته في أذهانهم-

دخلت نورسين وحياة عليهما الغرفة، فقالت حياة وهي تُشعل الضوء:

- إيه الرعب اللي إنتوا قاعدين فيه ده؟

بدأت ندى تمسح عيناها، ونهض أحمد عن السرير، فقالت نورسين:

- حلو أوي إنك قومت، إطلع برة بقى.
- أطلع برة ليه؟
- كده عشان هنتكلم في حاجات بنات
- همس أحمد في أذن حياة: إيه موضوع حاجات البنات دي؟
- أجابته حياة: هبقى أقولك لما نروّح البيت
- قاطعتهم نورسين: على فكرة سمعاكم أصلاً
- قال أحمد: سايبها لك مخضّرة.. هاتي شنطتك ويلا يا حياة عشان نمشي
- لا أنا قولت إنت اللي تمشي، سيب حياة معانا
- مش هينفع يا نورسين الوقت اتأخر أوي، وأنا عندي شغل بكرة
- خلاص سيبها بايتة معانا وروّح إنت
- قال أحمد بنفاذ صبر: يلا يا حياة، مش فاضي لشغل العيال ده!

بعد أن ودّعوا أخاهم، طلب مصطفى من نورسين أن تواسي أختها، فأخبرته أنها ستفعل، ثم خلد الجميع للنوم، وذهبت نورسين لغرفة ندى فظلّت تمازحها ويتبادلان الحديث فيما جرى حتى غلبهما النوم.

ربما لذلك خُلقت الأخت.. لتكُن... لا أعلم ماذا تكون، لكنها.....

في الواقع ليست الأخت بل الأنثى، الأنثى لا تكُن شيء فهي الكون بأكمله، السعادة كلها تتمحوّر حولها.. ابتداءً من الأم وانتهاءً بالإبنة، ومرورًا بالأخت والصديقة والزوجة والجدة والعمّة والخالة!

هي تضيف للشيء نكهته الخاصة، تضيف للمنزل الدفء، وتضيف للطعام اللذة، وتضيف للعمل البهجة، وتضيف للحياة حياة!

(7)
ما تراه خيال، هو حقيقة في حياة أحدهم

تعلـم ذلـك الشعور الذي ينتابـك أثناء مشاهدة فيلم لـه قصة مميزة، فيبـدأ عقلك الباطن باستنكار الأحـداث، والاستهزاء بحُجة: هذا لا يحدث سوى في الأفلام.

✍ **عزيـزي القارئ:** أنا هنا لأخبرك أن الأفـلام هي الوسيلة المُثلى لمحاكاة حياة البشر أجمعين.. ولكن المؤلف المحترف هو الذي يجعلك تشاهد قصة حياتك ولا تُدرك أنك البطل!

استيقظت نورسـين، فوجدت أختها لاتزال نائمة، لذلك بدأت بالنهوض مـن فراشهـا عائدة لغرفتها بهدوء كي لا توقظها، فهـي تعلم أنها لم تنَم بل كانـت تتظاهر بذلـك حتى غلبها الإرهـاق.. يُقال أن أصعـب ليلة تمر على الإنسـان، هي الليلة التـي ينام فيها بعد فقدانه لمن يُحـب، ترى هل تخوض تلك المقولة الآن؟

عـادت لغرفتهـا، واستعـدت لإكمـال نومهـا فالساعـة الآن السادسـة والنصـف صباحًا، أغلقت الهاتف واستلقت على سريرها، أغمضت عيناها فمـرت أحداث ذلك المـكان في ذاكرتها بشكل سريـع، وكأن شريط فيلم ما يدور في عقلهـا. حاولت تشتيت ذهنها عن التفكير بالأمر؛ فبدأت بالعد من رقم واحد إلى مئـة، لكنها لم تتمكن من الوصول للرقم سبعة وثلاثون وكان قد غلبها النعاس بالفعل.

استيقظت مـرة أخرى الساعة التاسعة صباحًـا، وكان الجميع لايزالون نِيّام.. نهضت من سريرها واتجهت ناحية غرفة أختها فلم تجدها؛ فأدركت أنها ذهبت للمستشفى بالفعل.

دخلـت الحمـام لتغتسل وتتوضأ، وأثنـاء وقوفها أمـام حوض الاغتسال أطالـت النظـر إلى المـرآة، بقيـت تنظر لذلـك الوجه الموجـود انعكاسه في المـرآة.. للوهلة الأولى يمكنك إدراك أنها تنظر لنفسها، ولكن إن تمّعنت في الأمـر، ستفهم أنها تبحث عن نفسها خلف ذلـك اللوح الزجاجي العاكس.. تبحـث عن ذاتها وسط كل تلك التفاصيل المتداخلـة، أهذه هي الفتاة ذاتها منـذ الحادث؟، ألم تتغير ولو قليـلاً؟، ألا يوجد ما هو مفقود داخلها بالنظر لعهدها السابق؟!

هـي لم تتغـير لا في مظهرها ولا شخصَهـا.. باستثناء تلـك الرؤى التي لا تعلـم سرهـا بعد، ربما لا يكون هنالك سر مـن الأساس، وهنالك احتمال آخـر تفضّله نورسين وتحاول اختبار صحته.. العديد من الأشخاص يؤمنون أن القصـص الخياليـة والعلمية التي نراهـا أو نشاهدها هي بالفعل حدثت في أحـد حيواتنـا السابقة.. ونورسين أحد هـؤلاء الأشخاص؛ فإن ركزت في أحـداث يومك، ستجـد العديد من التفاصيـل المطابقة لما نـراه في الأفلام ونقرأه في الروايات ولا نجده واقعيًا بالرغم من كونه واقع نعيشه!

توضأت وصلّت، ثم صنعـت كوبًا من النسكافيه، وجلست على سريرها؛ تفكـر كيف ستروي لـ علي مـا عاشته في خيالها.. وهل حقًا سيساعدها فيما تريد تحقيقه.. !

في المستشفـى التـي تعمل بها ندى، كانـت مشغولة طـوال الوقت لكونها متدربـة في قسم الطـوارئ، ذلك يجعلها غير قادرة علـى شرب الماء حتى!، ولكـن لحسن الحظ وعلى غير العادة، كان اليوم هادئ؛ مما وفّر لها الكثير مـن الوقت لتفكر فيما حدث مع ياسين.. لطالمـا كان عملها سبب انشغالها، فيمنعهـا مـن التفكـير بغير العمـل، فلمـاذا الآن تحديدًا لديهـا الكثير من الوقـت؟!، قاطـع تفكيرهـا صوت ×ملـك× زميلتها في القسـم التي عرضت عليهـا أن يتناولا الطعام معًا بما أنهم اليوم متفرغين، فوافقت ندى وذهبت لإحضـار قوائم الطعام من مكتب زميلة لهـم. وأثناء سيرها رأت ياسين في الممـر يسير في عكـس اتجاهها، وفـور أن اقتربت منه، أبعـدت نظرها عنه ونظـرت أمامها بثقة لا تملكها!، مرت بجانبه كما لو أنه غير مرئي، بالرغم مـن كونها لا ترى سواه.. فسبحان من يجعلنا نتظاهـر وكأن شيئًا لم يكُن.. كانت تتمنى أن يكون يراقبها، أو أن يكون التفت تجاهها ليراها، كما فعلت!، تتمنـى أن يكون منزعـج مثلها بل أضعافها.. تخشـى كونه سعيد بما حدث، تخـاف أن تنظر له فلا تـرى نظرة ندم في عينه!، تخـاف أن يكون قد تعمّد تلك الطريقة ليهجرها دون إلقاء اللوم عليه..

****

عـادت ندى لـ ملك حاملة في يدها قائمة المطاعم، ولكن لا مجال للراحة هنا؛ فها هي الممرضة تخبرهم بوجود حالة طارئة وعليهم استقبالها:

– قالت ملك في عجلة: أنا هطلب دكتور ياسين، استقبلي الحالة و...

– قاطعتها ندى متفهمة: مفهوم مفهوم

اتجهـت ندى لقسم الطـوارئ وبدأت بالإجـراءات التقليدية التي تُجرى للمرضـى، مـن تسجيـل الإسـم إلى الأعراض وأخـذ المؤشـرات الحيوية الخاصـة به. ما أن مرّ خمس دقائق حتى وجـدت ياسين يقف خلفها تمامًا، بـدأ بالتحدث مع المريض ببساطة نظرًا لصغر سنه فكان شاب في السادسة عشر من عمره:

- قولّي يا حسن ×اسم المريض× حاسس بـ إيه؟

- قال بصعوبة بالغة: بحس بوجع في صدري وأنا بتنفس، وكحة مستمرة مصحوبة بـ دم..

- إديني رقم يعبّر عن شدة الألم من عشرة؟

لم يُجِب حسن ولكن كانت حالته ومدى ألمه هي الإجابة، فوجّه د. ياسين السؤال لوالده قائلاً:

- بيعاني من الأعراض دي من امتى؟

- تقريبا داخل على تلات أسابيع

زادت تشنجات الشاب نظرًا لما يمر به من ألم، فقامت ندى بقياس درجة حرارته:

- د. ياسين، المريض حرارته ٣٨,٥

تغـيرت ملامـح ياسين فورًا ونظـر إلى الأب محاولاً طمأنتـه، طالبًا من الرحيـل مـن الغرفة، وبعـد أن خرج والد حسـن بدأت ندى بإخـراج بعض الأجهزة الطبية وقالت:

- احنا هنعمل....

- قاطعهـا ياسين بطريقـة صارمة يصحبها هـدوء مصطنع: سيبي كل حاجة واطلعي برة يا دكتورة

– قالـت بعدم إدراك لما يحدث: ياسين مينفعش ندّخل مشاكلنا الخاصة في الشغل!

– اطلعي برة يا دكتورة، ومتدخليش أي حد هنا...

لم تجد ما تقوله فاكتفت بالرحيل. أغلق ياسين الباب الخاص بالغرفة، وارتـدى القفازات المعقمة والكمامـة.. بدأ بأخذ عينة مـن أنفه باستخدام أنبـوب خاص بذلك ثـم أخرج هاتفـه واتصل بـ زميل لـه ولكنه في منصب أعلى، أجابه زميله بطريقته الفكاهية المعتادة، فقاطعه ياسين في صرامة:

– ابعت لي حـد يستلم مني العينات دي وبلّغ مركز التحاليل إننا هنبعت لهـم عينـة يتعمـل لها تحليـل IGRA بلّغ أي حـد ييجي ياخـد احتياطات الطوارئ..

– قال أدهم وقد بدأ يشعر بخطورة الأمر: إيه هي الحالة يا ياسين!

– أعراض السل الرئوي

– إنت فين؟

– الدور الأول في الاستقبال

– إنت مع الحالة دلوقتي؟

– أيوة..

– مفهوم، هبعت لك حد حالاً

****

ذهبت ملك لغرفة الأطباء فوجدت ندى جالسة هناك يبدو عليها الحزن و علـى ما يبـدو أنها كانت تبكـي أرادت أن تسألها عن سبـب بكائها، لكنها

حصلـت على الجواب فـور أن وقع نظرها على يد نـدى وأدركت عدم وجود دبلتهـا؛ فظلّت ملـك بجوارها تحاول تهدئتها ولكن بـلا جدوى، فلا يتعافى القلب إلا بمُهلكه.

دخل عليهم الغرفة بعض العاملين في المستشفى طالبين خضوع ندى للتحليل:

- أعمل تحليل لـ إيه؟، ما تفهموني!

- قال أحد الأطباء: المريض اللي حضرتك كشفتي عليه النهارده مُحتمل إصابته بـ الدرن

- أجابت بقلق: و.. وياسين؟

- لسـة الفحوصات هتتم حاليًـا، وهيعملوا لكم التحليـل السريع عشان نعرف النتيجة أسرع..

خـرج الجميع، و حُجزت ندى بغرفـة منفصلة عن غرفة ياسين ولكنهما متجاورتـان، كانت تـرى نظرتـه، بائسة، تخيفُهـا، وكان سببهـا خوفًا منه عليهـا.. وجدت أن هاتفها في جيب بنطالها فأرسلـت لوالدتها أنها لن تعود باكـرًا للمنـزل اليوم بسبـب مناوبة في العمـل؛ كذبت عليها فلـم ترغب في إثـارة قلقها، وبعدها اتصلت بـ ياسين فورًا متمنيةً أن يكون هاتفه معه، وقد حدث.. فلم يتأخر في إجابة اتصالها:

- ليه مخرجتش معايا؟

- هههههههه يعني هي فرقت؟، ما إنتي زيك زيي أهو!

- يبقى ليه خليتني أخرج؟

- كان عندي أمل إنك لو خرجتي بسرعة نسبة انتقاله ليكي تكون أقل

– ده كلام دكتور!، طب وإنت؟

– سيبيها على الله

– كنت خايف عليا؟، ولا بترضي ضميرك؟

– برضي ضميري اللي خايف عليكي..

– لم تستطِـع منع دموعها من الانهمار: ليه عملت كده!، تقصد ما حدث في زيارته لهم

– كنــت خايف عليكي من لحظة زي دي.. بس طريقتي كانت غلط، كنت عــارف إنك بتحبي شغلك ومشـ هتوافقي عشان كده فكرت إن دي الطريقة الوحيدة اللي هتجبرك تسيبيه.. بس إنتي اخترتي تسيبيني!

– طــب ما أي شغل في الدنيا فيه نسبة خطورة، وحتى لو قعدت في البيت مش ممكن الشقة تولع!

– بس على الأقل مش هبقى شايفها بتولع ومش قادر أعمل حاجة.. اللي أنا عملته النهاردة ده خطر جدًا، أنا في سبيل إني أحميكي عرضت حياة كل واحـد عدّيتي من جنبه للخطـر لو طلعتي مصابة، يعني الصح إني أحجزك معايا بما إنك تعاملتي مع الحالة، تفتكري هقدر أعمل ده يا ندى؟!

– لكن قدرت تبعد عني؟

– مقدرتش.. بس... ×نظر للأسفل بيأس× أنا آسف

صمتـوا جميعًـا، حتى جاءهم الطبيـب بعد ساعات كثـيرة مُعلنًا صدور نتيجـة التحليـل السريـع وقد ظهر علـى وجهـه كل شئ، فقـد أخبرهم أن المريضـ نتيجـة تحليله إيجابيـة على خـلاف ياسين وندى اللـذان أظهرت تحاليلهم نتيجة سلبية مما يعني عدم انتقال المرض لهما.

بعد الفرحة الشديدة التي أظهرتها ندى؛ لسلامتهم، خرجت من الغرفة متجنبة النظر لـ ياسين فأوقفها:

– مفيشـ حمد الله علـى السلامة! ×دمعت عيناهـا دون نطق كلمة× في إيه دلوقتي؟

– مفيش حاجة

– ابتسم ثم قال: عايز أقابل والدك واعتذر له على اللي حصل.. ونحدد معاد الفرح، كنت غلطان؛ أنا آسف

– احمّر وجهها، وقالت: معاك رقمه..

وذهبت مُسرعة دون توقف.

كان اليـوم قاسيًا جـدًا.. للحظة شعرت أنها ستفقـد الشخص الوحيد الذي أحبته طوال حياتها، ولكنها الآن تشعر أنه كان اختبار من الله لهما كي يعودا معًا. خوفها ودقات قلبها التي كادت أن تقف وقلقها في سبيل عودتهما.. الأمر يستحق، لقد كانت النتيجة مُرضية، أرضت عنائها وخوفها.

لحظة واحدة قد تزُج بك إلى التهلكة، لحظة.. قادرة أن تغيّر كل شئ.

ربما ما تراه سيء هو في الحقيقة خير لك!

خلف كل ابتلاء حدث لنا وكرهناه، خير لو علمنا أنه آتٍ لتمنينا الابتلاء في كل صلاة.

(8)
لنُكمل ما بدأناه

أن تبـدأ الأمر يعني أنك تُعلن الانضمام.. لذا لا يُمكنك الانسحاب؛ فقد يحين دورك في أي لحظة.

عزيزي القـارئ: شكرًا لكونك تقرأ هذه الرسالـة الآن.. أردت إخبارك أنك اقتربت لذلك، استمر!

بسبـب ما حدث في المستشفـى، تأخرت في العودة لمنزلها، فما أن وصلت حتـى وجدت نورسين في وجهها تسألها عن سبب تأخيرها، وجاءت أمها هي الأخـرى تسألها، فقصّت لهن ما حدث، وقد بدت علامات عد الرضا تظهر علـى وجـه حنان؛ كونهـا لا تفهم كيف تغـير رأي ابنتها سريعًـا بعد ما فعله ياسين، فقالت:

- يعني رأيك اتغيّر بالسرعة دي بعد اللي عمله والأسلوب اللي اتكلم به؟!

- تعالي معايا الأوضة بس وأنا هفهمك

اصطحبت ندى، حنان، وبقيت نورسين واقفة في الصالة لم تهتم لتعرف تفاصيـل ما جرى مع ندى وياسين، فرأيها لن يُشكّل فارق بالنسبة لندى، إلا إن احتاجت منها معروفًا، وكذلك ما جرى مع ندى لا يهمها طالما هي بخير. عـادت لغرفتها وهي تفكر فيمـا رأته حينما غابت عن الوعـي، إنه يشبه ما حدث مـع أختها كثيرًا باختلاف النهاية!، فقد كانـت نهاية ما رأته نورسين مؤلمة.. أخرجت هاتفها وأرسلت رسالة لـ علي، تقول فيها: أنا مستعدة أحكي

لـك اللي أنا شوفته. انتظـرت أن يقرأها، لكنه لم يفعل؛ يبدو أنه حقًا شديد الانشغال.. لذلك لم تجد حلاً آخر.

****

في مكتـب علي، دخل أحدهم عليه وهو يضـع رأسه على المكتب من شدة التعب؛ فتحدث دون أن يرفع رأسه قائلاً:

- كده خلصنا كل المواعيد؟، عايز أرجع البيت

- قاطعه صوت أحدهم: معلش يا دكتور مضطر تقابل مريض كمان

لم يكُن الصوت غريب عليه، فقد سمعه من قبل، ولكنه أيضًا ليس صوت سكرتيرتـه، بدا صوت أُنثَوِي هـادئ، رفع رأسه ببـطء؛ ليجد نورسين تقف أمامه، فابتسمت له، وظلّ علي ينظر بتعجب؛ فلم يتوقع زيارتها تلك، قالت:

- ملقتش حد برة أستأذن منه، أعمل إيه طيب؟

- لا أبدًا نورتي، عرفتي العنوان منين؟

- سألت ماما..

- طب اتفضلي اقعدي

كانـت ثابتة في مكانها، وعيناهـا تدور في المكان، تتأمـل كل زاوية فيه.. أعجبهـا كثيرًا تنسيـق الألوان، ورق جـدران باللون الرمـادي ومكتب أسود وُضِـع عليه لوحـة خشبية حُفر عليهـا اسمه تبدو مصنوعـة يدويًا وذلك ما يميّزهـا، هنالـك لوحة معلقة أعلـى المكتب، بها مجموعة ألـوان متداخلة.. للوهلـة الأولى تُشعـرك بالفوضـى ولكن لسببٍ ما لا يمكنـك إبعاد ناظريك عنهـا، بجانب المكتب دولاب صغير أدرُفه شفافة يظهر من خلالها شهادات

عدّة تؤكـد جدارته، وفي الجهـة المقابلة تلك الأريكة الغريبـة "الشيزلونج" مغطـاة بالجلد الأسود يُغطيها مفرش مخملي باللون الأبيض، يُجاورها نبتة كبيرة خضراء أضافت بهجة للمكان، وخلفها إضاءة هادئة.

– إنتـي جاية ليـه؟ ×أدرك علي مـدى وقاحة سؤالـه× لأ مش قصدي.. أقصد يعني إنك مكنتيش حابة نتكلم في العيادة..

– بعـت لك مسدج علـى الواتس بسـ حضرتك كنت مشغـول، وأنا مش ضامنة هيجيلي الجرأة آخد الخطوة دي تاني ولا لأ

فتح هاتفه وقرأ رسالتها، ثم نظر لها وابتسم:

– هايل جدًا، عشان كده جيتي؟

– أيوة، بس واضح إن ده وقت نهاية شغلك.. خلينا نأجل....

– لا لأ نأجـل إيـه بس، زي ما إنتي.. اعتـبري إني مش ورايا حد غيرك، تشربي إيه؟

– ولا أي حاجة شكرًا

– لا مفيشـ الكلام ده، المرة اللي فاتت عدّيتها المرة دي إنتي في مكتبي!، ها بقى أجيب لك قهوة؟، نسكافيه؟، عصير؟

– خلاص نسكافيه

اتصل علـي بسكرتيرته فدخلت المكتب؛ تسأله عمّـا يريد، وقد تفاجأت بوجـود نورسـين؛ فهـي لم ترَها أثنـاء دخولها، لأنهـا كانت تبتـاع شئ من الأسفل، ظنًا منها أن مواعيد اليوم قد انتهت.

بدأ علي يُملي عليها طلبه قائلاً:

- بصي يـا علياء عايزك تروحي تعملي لنا كوبايتين نسكافيه، أو خليهم تلاتة عشان إنتي مطوّلة معانا النهاردة

- حاضر يا دكتور، نورتينا يا آنسة

- قال علي: مش من قلبها على فكرة

- أجابت نورسين ضاحكة: ما أنا لاحظت

بعد أن أحضرت علياء النسكافيه ورحلت، بدأ علي حديثه مع نورسين قائلاً:

- حصل حاجة خلتك تقرري تتكلمي النهارده؟

- مواقـف حصلت في بيتنا شبـه اللي شوفته، ده خلاني أفتكر كل حاجة حصلـت بالتفصيـل وأقعد أقـول لنفسي: يمكـن لو كان حد اتكلـم وساعد مكنوش وصلوا للنهاية البشعة دي!، يمكن ده حصلّي عشان أتكلم؟!

كانت نورسين تتحدث، وعلي يتابع نظرات عينها وحركاتها الغير مفهومة وانفعالها في بعض الجمل، كان يدقق في تفاصيلها دون أن تلاحظ ذلك.

- بصراحـة أنا معرفش إنتـي شوفتي إيه وعشان كده مشـ قادر أفهم، احكي يا نور..

- أبدأ منين؟

- من المكان اللي يريحك

- كنـت في مـكان غريب عمري مـا شوفته قبل كده، شـوارع ضلمة أوي، ومهجـورة، مفيش فيها حد نهائي، المباني كلها مهدومة، والمكان مخيف أوي أو بتعبـير أفضـل مُقبض!، حاولت أمشي يمكن ألاقـي مخرج من المكان ده، وأنـا ماشية شوفت ألعـاب مرمية على الأرض.. شوفـت دبدوب صغير لونه

أبيض، شلته من على الأرض وحاولت أنفضه من التراب والألوان اللي عليه، بالمناسبة مكنتش ألوان.. كان دم.. وده اللي عرفته بعد ما شوفتها

- تدّخل علي: هي مين؟

- بنوتة صغيرة في حدود سبع سنين...

- كملي

- أول مـا شوفت الدم رميت اللعبة على الأرض واترعبت، كل اللي كان في بـالي إن في حيوانات مفترسـة هنا، بعد مدة صغيرة لقيـت بنوتة طالعة تجري مـن مبنى من المباني المهجورة لسة متهدمش لكن منظره بيقول أنه على وشك، المهم البنت قعدت على الأرض وفضلت تعيط.. جسمها كان كله علامات ضـرب وفستانها كان مقطوع. قربت منهـا واتكلمت معاها، فاكرة الحوار كأنه امبارح

- احكيه بالتفاصيل..

- سكتـت قليـلاً ثم أردفـت: سألتها عـن إسمها.. مردتش عليا بعدها سمعنـا صـوت خطـوات بتقـرب، فالبنت على طـول جريـت استخبت وراء المبـاني و الحجـر اللي متكسـر.. خرج من نفـس العمارة اللـي هي خرجت منهـا شاب في حـدود ١٩ سنة، وعدّى من قدامي كأني مش مرئية بالنسبة لـه، كنت بشـوف المشهد بالتفصيل.. مـن أصعب المشاهد اللـي شوفتها في حياتـي!، اعتـدى عليها بالضرب بطريقة مُميتة بعد مـا حاول يتحرش بيها وهـي صرخـت.. ضربها في كل مـكان في جسمها.. ضربهـا لحد ما ماتت!؛ عشـان صرخـت، عشان خافت منه وهـو خاف حد يسمـع صوتها، بس مين

هيسمعهـا في مكان زي ده؟، أنـا.. أنا كنت سمعاهـا ومعملتش حاجة، كنت أضعف مـن إني أساعدها، وكنت أجبن من إني أتدخـل.. المشهد كان أقوى من سعة احتمالي!

في ختـام جملتها ظهرت حشرجة صوتهـا الناتج عن اختناق أنفاسها في حلقها، فارتفع صوت بكائها حتى أصبح حديثها غير مفهوم، وكأنها تستشهد الأحـداث فتعود ذكراها لتجرحها جـرح مضاعف هذه المرة، وكأنما المشهد يتكرر أمامها بقسوته وقذارته وخوفها. حاول علي أن يُهدئ من روعها قائلاً:

– نورسين اهدي.. تحبي نوّقف؟

أومأت له أن "لا" فقال:

– خلاصـ يبقى تعـالي على نفسك واستحملي معايـا للآخر!، صدّقيني هنوصل لحاجة.. أوعدك.

– تنهدت: أنا كنت صح لمّا توقعت إن في حيوانات هنا لكني كنت غلط إني محددتش نوع الحيوان إنسان

هنالك فئة من البشر لا يمكن تصنيفها سوى من الحيوانات، على الرغم أن في ذلك ظلم لعالم الحيوان؛ فالحيوانات أكثر رحمة من هؤلاء المجردون من المشاعر، بل من المروءة!

– مـن الإجهاد اللي كنت فيه أغمى عليـا.. فوقت لقيتني في نفس المكان اللي البنت ماتت فيه، ومشوفتش حد منهم.. قومت بصعوبة وكإن ضربه كان فيهـا والوجع فيا!، حاولت أمشي باتزان لكنـي مقدرتش، و وقعت.. غصبت نفسـي إني أقوم لإني خايفة أقعد هنا دقيقة واحـدة زيادة وقومت.. مشيت

شويـة لحد ما لقيـت مكان أشبه بمدرسـة وعلى الرغم مـن حالتها السيئة إلا إنهـا كانـت تُعتبر مـن أنضف الأماكـن اللي ممكن تشوفهـا هنا، وقفت قدامهـا شوية وشوفت مشهـد حلو أوي، حسيت أنـه بيعوضني عن البشاعة اللي حصلت قدامي، بنت في حدود تانية، تالتة، ثانوي، ماشية و وراها شاب في نفـس عمرها كان شكلهم حلو أوي. مـرة واحدة البنت وقفت ولفت للولد وعاتبته أنه ماشي وراها بس هو صمم برضه يفضل وراها لحد ما تروّح ولما هددتـه بهـزار إنها هتقول لباباها قال لها بثقة إنـه بالفعل عارف ورغم إنه رفض بس هو هيفضل وراه لحد ما يوافق وبعدها اتكسفت ومردتش، وكملت مشـي بس بخطـوة أسرع من الأول وأنا مشيت وراهـم كانوا الحاجة الحلوة الوحيـدة في المـكان.. نظرتهم لبعضـ إدتني احساس إني مشـ لواحدي، لأ نظرته ليها طمنتني، فما بالك بيها؟

بعض الأشخاص في حياتك هم حياتك!

إن حضروا أصبح للحياة اسم، وإن غابوا فما عليك سوى حذف الألف، لتتناوله.

- أكملـت سردها: وصلوا لحد بيتها وأبوهـا كان واقف في البلكونة، أول لمّـا شافهم نزل جـري بغضب باين عليه مقدرتش أفهـم سببه، قابلهم على السلـم، الولـد سلم عليه وحضنه وقـال في أذن أبوها -بصـوت واطي كنت قـادرة اسمعـه-: متنساش معادنا آخر السنـة يا عمو، رد عليـه أبوها: أنا رفضـت بالـذوق بسـ شكله الـكلام مش نافع معـاك وفي وهلـة كان مدخل سكينة في جسمه أنا حتى مش قادرة أستوعب جابها امتى! صرخة بنته لسة في وداني.. صرخـة حسـرة، و وجع، وخوف.. صرخة تحيـي كل ذكرة مؤلمة

جـواك. شـكل الولد وجسمه وهو بيوقـع وملامح الصدمة باينـة عليه، كان حاضـن أبوهـا وعنيه عليها!، كانـت هي آخر حاجة تشوفهـا عينه.. غلطت أكبر غلط لما افتكرت إن دول اللي بيعوضوني عن بشاعة اللي شوفته قبلهم، مكنتش أعرف إن لسة فيه الأبشـع من كده وإن دي مجرد البداية!. كان كل تفكـيري ازاي هي هتقدر تبصـ لأبوها وهي شايفة فيه قاتـل؟، ازاي أبوها هيحضنها وهو اللي كسرها!، ازاي هيبص في عين أهل الولد.. ازاي القسوة في قلبه وصلت للمرحلة دي!

– ليه محاولتيش تمنعيه؟

– بالرغـم مـن إني مش عارفـة إذا كان اللـي أنا شوفتـه ده حقيقي ولا خيـال، إلا إن الحاجة الوحيدة اللي واثقة فيها إني مكنتش موجودة بالنسبة لهم وتدخلي مكنش هيبقى له فايدة

– تمام، كملي..

– استقبـالي لوفـاة الولد كان أسـرع، خرجت فورًا مـن العمارة، كملت مشـي بين الشوارع، لغاية ما قابلـت بنت في آخر سنة في الإعدادي، لاحظت ده مـن كتاب كانت مسكّاه في إيدها.. شـاب ماشي وراها، عرفت من رجفة إيدهـا، وخطواتهـا السريعة البعيـدة عن بعض، ولون وشهـا المخطوف، أنه شخص مش مرغوب فيـه بالنسبة لها، مجرد شاب متطفل، بيستغل خوفها منـه عشان يرضي ضعفـه.. بدأ يقرب منها بحُكـم إن خطواته كانت أطول وأسـرع، بيمد إيده على كتفهـا عشان يوقفها وهي بتحاول تبعد، بدأت أتوقع إيـه اللـي هيحصل بعد كده.. لغايـة ما ظهر شاب تاني في حـدود ١٨ سنة،

مـن الشبه اللي بينـه وبينها أقدر أقـول إنهم أخوات، البنـت أول ما شافته استخبـت وراه، ورغم الخوف اللي كان باين في عينه إلا أنه بص لها وابتسم وقالهـا تروّح وهـو هيجي وراها، صوت الشاب اللـي كان ماشي وراها ارتفع وكان بايـن أنـه شارب حاجة أو مشـ في وعيُّه أنا حتـى مقدرتش أفهم اللي قاله البنت جريت بعيد شوية بس فضلت واقفة بتشوفهم من بعيد، كان باين عليهـا خوفها وخضتها.. حقها تخـاف في موقف زي ده، وإن جيت للحق من حقها متتعرضش للموقف ده..

أعتـذر بالنيابـة عن كل يـد طالت أجسامكـن، كل كلمـة قيلت خدشت حياءكن ولم تجـدوا ردًا سوى الصمت، أعزّكم االله في كتابه، وأذلكم خلقه على الأرض.

- كنـت شايفة الحوار عمّال بيحتدّ بـين الطرفين، وكنت عارفة هيوصل لـ إيه، طرف هيقتل التاني.. كان سؤالي: يا ترى مين اللي هيتقتل؟، الشاب دفاعًـا عـن شرف أختـه!، ولا المتحرش دفاعًـا عن.. عن الرجولـة اللي هو فاهمهـا غلط أصـلاً!، المرة دي مكنشـ ينفع أسكت، مشـ هسيب حد تاني يمـوت قدامي وأنا ساكتة وخايفة مع إني كنـت متأكدة إن أي حاجة هعملها مسـ هتغـير أي حاجة.. شوفت واحد منهم بياخـد حاجة من الأرض ورايح بيهـا ناحية التـاني، صرخت بأعلى صـوت فيا، جريت عليـه حاولت أمنعه بـكل قوتي لكن.. أنا مش موجـودة بالنسبة لهم، أنا شيفاهم وسمعاهم لكن همـا ميعرفوش إني واقفة أصـلاً.. استسلمت ورجعت تاني اتفرج من بعيد. شخصين كانوا بيجروا، البنت ناحية أخوها اللي بينزف على الأرض، والولد

في الاتجاه المعاكس قبل ما حد يلحقه. نظرة الكسرة اللي في عيونها وأخوها اللـي سألها بصوت معـدوم: إنتي كويسـة؟، مستناش يسمـع ردّها وغمض عنيـه.. غبـي!، كان فاكر إنها هتبقى كويسة لما يغيـب عنها، أنا متأكدة إنها كانت تتمنى ميظهرش ومينقذهاش ولا أنه يمشي.. يمشي ومتشفهوش تاني..

– قاطع الطبيب اندماجها في السرد واحمرار عيناها القريب من البكاء؛ مستفسرًا: إيه اللي مخليكي متأكدة؟

– عشـان ببساطة أنا مش مستعدة أعيش في مقابل إني أخسر حد غالي عليا.. متبقاش عيشة من أصله!

– أومأ الطبيب متفهمًا، وقال: كملي...

– كسرتهـا بموت أخوها كانت بالنسبة لي القاضية.. أصل يعني هشوف إيـه أبشـع من كـده!، ولو شوفـت مش هتفاجـئ خلاص أنـا أدركت إني في عـالم مُوحش، عالم مليـان بشر مُجردين من البشريـة. استغليت فكرة إني غـير مرئية، وحضنتها وهـي قاعدة على الأرض جنـب أخوها، كانت بتقول كلام مشـ واضح من عياطهـا ونفسها المقطوع وبالرغم من كده كنت قادرة أفهمهـا، سمعتها وهي بتقـول: قوم يا حبيبي أنا مليشـ غيرك.. طب هقول لماما إيه لما تسألني عليك ها؟، أنا خايفة.. يرضيك تسيب أختك كده؟، طب قوم وأنا هسمع كلامك والله، ومش هلبس هدومك تاني!

– حسيتي إن حضنك ليها فرق معاها؟

– فرق معايـا أنا.. الحقيقة إني حضنتها لإني أنا اللي محتاجة الحُضن ده، كنت بتلكك عشان أحس إن حد جنبي.. كنت بستخبى فيها عشان خايفة أشوف حاجة أقسى. كنت عايزة أخرج من المكان ده

- وإحساسك إيه بعد ما خرجتي؟

- حاسة إني عايزة ألّف على كل بيت، وأعرف حكايتهم وأقويهم.. عايزة أمشي أطبطب على الناس اللي في الشارع، أعرفهم إن في حد حاسس بيهم، عايزة أمنع كل واحد غلبه شيطانه وقرر يقتل!، خايفة نتحول لوحوش، بنقتل كل حاجة حلوة فينا ونبرز الوحش وبس!

- مش عايز أحبطك بس صعب..

- صعب، بس فكرة إني أقف أتفرج على ناس بتموّت بعض وأنا مش بتحرك.. ده الأصعب!

شعر الطبيب أنه عاجز عن مواساتها، للغة العربية ثمانية وعشرون حرف، ولم يجد حرف يمكنه التخفيف عنها.. لذا تجاهل جملتها الأخيرة قائلاً:

- كملي..

- تنهدت ثم قالت: المرة دي متحركتش من مكاني.. أنا نمت، نمت وصحيت على صوت ناس بتتكلم ودوشة، لما فتحت عيني شوفت حاجة غريبة أوي!، كان في بحر قدامي وشباب واقفين مع بعض بيهزروا ويضحكوا، كان شكلهم يفرّح جدًا، بس لأ المرة دي مش هنخدع، أكيد ده هدوء ما قبل العاصفة، شوفت مجموعة شباب بيتكلموا مع بعض، بس كان في واحد بعيد شوية عنهم أو مش مندمج أوي وسطهم.. بس كان بيضحك ويهزر معاهم عادي يعني، بصراحة كان عندي أمل فعلاً إن المرة دي تكون النهاية حلوة، بس كل ده اتغير أول ما شوفته بيسحب نفسه من وسطهم وبيبعد، مشيت وراه لحد ما لقيته رايح ناحية البحر، وقفت مكاني وكنت شيفاه من بعيد..

شوفتــه فوق على الــبرج!، لأ آسفة مكنش برج.. دي المنــارة اللي بتبقى في البحــر، كان واقف فــوق بسَكينة غريبــة، ولا كإن في ذرة خوف في قلبه على الرغم من الارتفاع اللي هو فيه!، وأنا براقبه في صمت كعادتي سمعت صوت شاب بينادي عليه -صاحبه، فـ كمثل أي إنسان طبيعي لفيت ناحية الصوت، وبمجــرد ما لفيت سمعت صوت خبطة جسم ما في المياه.. كان هو، أيوة اللي إنــت توقعته فعلاً.. انتحر، رمّى نفسه من ارتفــاع ميقلش عن ١٥٠ متر بكل بساطــة.. ×ضحكت بألم× زي ما يكون بينط من على رصيف الشارع مثلا!، بالرغــم من كوني اعتدت على المواقف دي ومــع كل موقف تأثُري باللي بعده كان بيقــل، إلا إن المرة دي تحديــدًا حسيت خبطة جسمه كانت في قلبي مش في الأرض.. للحظــة حسيت إني أنا اللي بموت مش هــو. فكرة إن حد يكون مكســور نفسيًا لدرجة أنــه ينتحر دي مُميتة!، يمكن مــن رحمة ربنا بيا إني مكنتش باصة عليــه لما وقع.. كلنا بيجيلنا فترات واليأس يتملكنا ويصور لنا إن الانتحــار هو الحــل، لكن دايمًا هتلاقي إنك بتتراجــع في آخر لحظة لأي سبب مهما كان بسيط، لكن فكرة إن الشخص ده فقد كل حاجة حتى الشئ البسيط اللي ممكن يمنعه من قرار شنيع زي ده.. مُخيفة!

- وبعدين..؟

- بســ.. فوقت بعدها على صوت بكاء أمي ومحــاولات دكتور بيسعفني، انتهت بنفس عميق أخذه الدكتور بعد ما شافني فتحت عيني

- كان إيه إحساسك أول ما فوقتي من الغيبوبة؟

- مكنتش عايزة أفوق!

- عقد الطبيب حاجبيه قائلاً: ليه؟

- عشان بمجرد ما فوقت عرفت إن اللي شوفته ده مكنش حلم وفوقت منه..

نظر لها علي بغير فهم، فأكملت:

- دي حياتـي.. ابتسمت ابتسامـة مصطنعة× دي حياتنا.. أنا فوقت من حلـم مُرعـب، عشـان أعيش في واقع أليم، هـو ده الواقع اللـي احنا بنعيشه يـا دكتور، فلان اغتصب فلانة، وفلان اتخانق مـع فلان فقتله، وفلان حب فلانة فاتفارقوا غصب، وفلان فقد الرغبة أنه يعيش فانتحر!

- ومين فلان وفلانة؟

- احنـا.. مسيرنـا نبقى زيّهم في يـوم، كده أكون حكيـت لحضرتك كل حاجـة نظرت لـه وكأنها تذكـرت شيئًـا× باستثناء حاجة واحـدة مقدرتش أحكيها لحد..

- قال بفضول: اللي هي..؟

شعـرت بالـتردد الشديـد لإخبـاره سرّهـا الوحيد الـذي لم تتمكن من الإفصـاح به لأي شخص، -وهو الأمر الوحيد أيضًا الذي لم تكذب بشأنه-؛ فهي حقًا لا تجد له تفسيرًا..

- أجابت بتوتر: كل حاجـة شوفتها وأنا في غيبوبة متسجلة على موبايلي بالتفصيل الممل.. وتاريخ الكتابة هو نفسه التاريخ اللي كنت فاقدة الوعي فيه

أخرجـت هاتفها وفتحت تطبيق "الملاحظات" ثمّ وجهته إلى علي، ليرى كل ما قصّته مُسجّل بالفعل:

- قال بدهشة: هيكون مين اللي كتب الحاجات دي على موبايلك!

- أكيـد لـو عارفـة مكنتش حكيـت لحضرتك، ولـو بصيت علـى تاريخ التسجيل هتلاقي بيوافق التاريخ اللي كنت فيه في المستشفى غايبة عن الوعي

- حاجة غريبة أوي، بس متقلقيش هنحلها

أثار الأمر ريبته؛ لعدم عثوره على تفسير منطقي، قاطعته نورسين قائلة:

- في سبب غير اللي قولته لحضرتك في بداية لقاءنا، خلاني أحكي لك..

نظر لها بتساؤل، فأخذت نفس عميق لتُكمل..

- .....

الواقـع.. عند قراءتها للمـرة الأولى تراها كلمة عاديـة، ولكن إن عدت وقرأتها مجددًا.. ماذا سيكون أول ما يخطر في ذهنك؟

شـئ حـدث لك لم يكُـن مُحبب إليـك، أو موقـف رُسخ في ذهنـك يأبى الخـروج، أو شخصـ عزيز لم يعُد بجـوارك فأصاب قلبـك ألم الفراق. إن ركـزت فيمن حولك قليـلاً ستجدهم دائما مـا يضيفون كلمـة ×أمر واقع× حينما يجري ما لم يرغبوا به ولا يملكون له حلاً.. واقعنا هو التشبيه الأمثل لكل ما هو سيء.

****

غادرت نورسين؛ عائدة لمنزلها.

وأمـا هو فبقـي في عيادته يُفكر فيمـا قالته، شعر بالذنـب مجددًا؛ فما قالته وما اشترك هو فيه شيئان متشابهان في الفِكر، مختلفان في المشاعر.. كل مـا سمعه من نورسين كان يتوقع سماعه، باستثناء ما سُجّل على هاتفها هو حقًا لا يعلم سره، ولا يجد له إجابة!

اتصل بأحدهم وما أن أجاب حتى أجابه علي قائلاً:

- مشيِـت من عندي حالاً .. هحكيلك لما أشوفك .. لحد دلوقتي الموضوع ماشـي زي ما رسمنـاه على الرغم إني مشـ فاهم شويـة تفاصيل .. هههه معـاك حق الاستعجال وحش .. اهدى عليا وأنا هجيلك بالتقيل بس لما أفهم كل حاجة، أنا بس قولت أطمنك ..

دخلت سكرتيرة علي؛ فأنهى الاتصال قائلاً: طيب يا غالي، هكلمك بعدين

استـاء علي مـن طريقة دخـول عليـاء دون أن تطرق البـاب؛ فاعتذرت له، ثـم أخبرته أنها سترحل وقد دخلت لتستأذنـه بما أن نورسين قد رحلت بالفعل، فسمح لها بذلك، واستعد للرحيل هو الآخر.

(9)
ليس كل ما يظهر لك هو الحقيقة

كم مرة خدعتنا البدايات؛ فظننا شئ وفوجئنا بآخر..

لا تُحـاول العد، فلن تتمكـن الأرقام من حصرها، فقط حاول أن تجعلها المرة الأخيرة.. فاحذر دائمًا من حلو البدايات حتى لا تتفاجأ بمُر الختام!

دخل علي منزله، يعيش بمفرده.. توفيَ والده منذ أن كان طفل، ولحقت به والدته منذ سنتان، ولازال أعزب، لكنه على عكس أغلب الرجال العُزّاب؛ فهـو شديـد النظـام في منزله بـل في حياتـه بأكملهـا، كل شـئ يخصه له ترتيـب خاص به.. يكره أن يرى شـئ في غير موضعه الأصلي.. كذلك الأمر للأشخاصـ المحيطين به.. فعلى الرغم من علاقاته الواسعة مع الجميع؛ إلا أن دائرة معارفه تُعد صغيرة جدًا.

جلس على فراشه، ثم أخذ نفس عميق يُحاول النوم لكن تلك الأحداث لا تفارقـه، يشعر بالذنب تجاه نورسـين.. يُعجبه أن الأمر يسير كما خُطِط له، ويُزعجه أنها المُتضررة. تذكر حوارهما اليوم في مكتبه:

– في سبب غير اللي قولته لحضرتك في بداية لقاءنا، خلاني أحكي لك..

نظر لها بتساؤل، فأخذت نفس عميق لتُكمل..

– مشـ عارفـة إذا كان اللي هقوله ده ينفـع ولا لأ.. ومش عارفة إذا كان صح برضه ولا..

– قاطعها علي ضاحكًا: كنت واثق إنك من الشخصيات المترددة.. قولي عايزة إيه؟

– عايـزة أساعد الناس اللي محتاجة.. مشـ احتياج مادي، لأ.. احتياج معنوي؛ الناس اللي محتاجة حد جنبها، حد يشجعها، يسمع لها، يساعدها.. يساعد بدون مقابل..

– دي مبادرة جميلة جدًا منك.. بس برضه مش فاهم ده إيه علاقته بيا؟

– مهو أنا معرفش حد..

– والمطلوب..؟

– حضرتك بتتعامل مع ناس كتير خاصةً في العيادة وأكيد بيمر عليك شخصـ..

– قاطعهـا وكأنـه أدرك ما تسعى إليه: نورسـين اللي عندي دول مرضى نفسيـين، مش مجرد أشخاص مش لاقيين اللـي يسمعهم والكلام اللي إنتي بتقوليه ده!

– وهو يعني المرض النفسي بييجي من إيه؟

– استند بظهره على الكرسيّ وقال بثقة: بييجي من حاجات كتير طبعًا؛ حاجـات أصعب من اللي بتتكلمي عنه واللي ممكن خيالك يوصل له.. ثمّ إن كل حرف بيتقال هنا بيفضل بيني وبين المريض إستحالة مخلوق يدرى عنه.

– أنـا فاهمة ده سكتت قليلاً تُفكّر طيب إيـه رأيك المرضى اللي حالِتهم تسمح عندك، تعرض عليهم الفكرة

– فكرة إيه أساسًا...؟

– نعمـل team هنبتـدي بشخصـ واحد حتـى، هنتكلم معـاه ونعرف مشكلته ونحاول نساعده بأي وسيلة.. وطبعا بإشراف من حضرتك

– زي مصحة يعني، اتعَملِت كتير قبل كـ....

– قاطعتـه بحماسـ: مش مصحة، أنا لا أفقه شـئ عشان أعمل مصحة مـرة واحدة.. كل الفكـرة إننّا هنكوّن جروب نبقى صُحـاب، نصدق بعض، ونؤمـن بقدراتنا، وكل واحد عنده مشكلـة اتسببت في لجوءه للعلاج النفسي نحـاول نحلهّا.. يعنـي مثلاً واحد عنده حلم عايز يحققه وأهله أو صحابه أو اللـي حواليه بشـكل عام بيحبطوه، احنا بقى نشجعه ونحـاول نيسر له سُبل يحقق من خلالها اللي هو عايزه قالت بيأس فاهمني؟

– أجاب والإندهاش يعلو ملامحه: عظيم!

– بجد حلوة الفكرة؟

– مش الفكرة..

تغيرت ملامح نورسين على الفور، فاستفاق علي من دهشته وأردف ضاحكًا:

– لأ مقصدش.. الفكرة حلوة لكن اللي شدّني أكتر هو تفاعلك معاها

– أجابت على استحياء: اه.. أنا بتحمس أوي لما بتكلم عن حاجة بحبها، وغصب عني بتكلم بتلقائية، مش بعرف أتكلم بيها في الطبيعي ×سكتت× ها هتساعدني؟

– قوليلي الأول، إيه اللي طلّع الفكرة دي في دماغك؟

– مشـ حاجة محـددة.. تقدر تقـول مجموعة حاجات داخلـة في بعض ممكـن اللـي أنا شوفته يكون مجرد كابوس وفوقـت منه، زي الحياة كده كل اللـي بيحصل للي عايشينها يُعتبر كابوس بشع، ولو في إيدي إني أصحي حد مينفعشـ أتأخر.. الناسـ شافت كتير أوي لدرجة كلمة مـوت معدتش بتأثر فيهـم!، معدش ليها إيقاع قوي على القلب زي زمان، وده مُخيف.. دكتور أنا

عمري ما قولت الكلام ده لحد ولا حتى فكرت في يوم إني أنفذه، كنت بخاف أوي مـن كلام النـاس؛ تحديـدًا اللي بيتقـال في ضهري.. أصـل لو في وشي فأمرها سهل، بعرف أرد وعندي بدل اللسان مية

– أنهي كلام بالظبط؟

– يووووه كلام كتير أوي، عندك مثلاً شايفة نفسها حاجة عظيمة×، هي فاكـرة إن البلد كانـت مستنية واحدة زيّها تعدلها، بتعمـل كده عشان تلفت الأنظار ليها.. وغيره

– طب ودلوقتي، معدش فارق معاكي كلامهم؟

– هكـون بكدّب.. فارق معايا لكني زهقت.. ولـو جيت للحق آه البلد دي محتاجة حد زيي يعدّلها؛ لأن في مليون زيي وبرضه خايفين من كلام الناس، احنا شعب لما بيشوف حد بيعمل حاجة صح بنتريق عليه!

– أمعـن التفكـير ثـم أردف: للأسـف حماسـك وطاقتـك دي مينفعش نتجاهلهم، هحاول أساعدك...

****

هـو مذنب، وربما يمكنه التكفير عن ذنبـه بمساعدتها، فـ فكرتها ليست بذلـك السوء هـي فقط تحتـاج بعض التعديـلات لتنجح.. بـدأ التفكير في الحـالات التي يرى أن تلك الفكرة أنسب لهـا من العلاج النفسي، كان قادر علـى تذكرهـم جميعًا وتذكـر حالاتهم دون العـودة لسجلهـم الطبي؛ لكنه بالطبـع لن يعتمد على ذاكرتـه فقط. أثناء تفكـيره في المرضى، خطر على

بالــه نورسين.. لا يمكنــه تصنيف ما رأته ضمن المرضـ النفسي خاصةً أنه أدرى الناس بالحقيقة، لكن لا يظن أن الأمر نفسه ينطبق على حياتها عامةً!

أحضر ورقة وقلم وبدأ بتدوين بعض الملاحظات:

نورســين شخصيــة معقدة إلى حــد كبير، يتبــيّن عليهــا البساطة، لكن لسبــبٍ أجهله ينتابني شعور من حــينٍ لآخر بالغرابة تجاهها، تتدّعي الهدوء في بــاديء الأمــر، ثم يعلو صوتهــا تدريجيًا ويحتد.. للوهلــة الأولى أرى أنها شخصيــة متفائلة تبحث عن الضوء مهما اشتد الظــلام، ولكن بعد التمعن بهــا أشعر أن الحُزن أقرب لها.. بل يناسبها أكثر الاختباء من الضوء وسط الظــلام!، كأنها الشــئ ونقيضه.. لم تبتكر فكرة الفريــق لمساعدة الآخرين فقط، بل لمساعدة نفسها، لِتشعر أنها قادرة على مساعدة أحدهم خوفًا من أن تفشل في إعانة نفسها، ليست مريضة، لكنها تعاني.

كانــت جملته الأخيرة هي الأقــرب في وصفها "ليست مريضة، هي فقط تُعاني".

(10)
البطل هو الناجي في أرض الموتى

حينمـا تعتاد الفراق؛ فيصبـح موتهم لا يعني لك شيئًـا، وكأنك اعتدت تلك الأحداث فلم تعُد تُثِر عاطفتك أو حتى شفقتك!

عزيـزي القارئ: دعني أُخبرك شيئًا، المـوت لا يعني فقط مغادرة الروح للجسـد، بـل هنالك موت آخر يُفقـدك كل ما اكتسبت بنفسٍ راضية، موت يجعلـك مُجبر على الاستسلام، وهذا هو الموت الأصعب؛ ولأن ×صعوبتها في سهولتها فذلك النوع من الموت لا يعني النهاية..!

استيقظ علي باكرًا وتجهز؛ كي يذهب إلى عمله، وقد عدّل جدوله اليوم لتُصبـح أغلب الكشوفات لمرضاه الذي يريـد ضمّهم لفريق نورسين، الذين فقـدوا الرغبة في الحياة؛ فأصبحوا كالموتى. لعل انضمامهم يكون عونًا لهم في العودة إلى الحياة.. لم يكُن على اقتناع كبير بالفكرة لكن جزء منه يُخبره أن إصرارها لم يأتي من العدم.

كعادتـه ارتـدى ثياب تبدو رسميـة إلى حد كبير، وأخـذ مفاتيح سيارته وخـرج من المنزل، لم ينظـر للمرآة، فهو على إقتناع تـام أن المرآة هي أكبر كذبة في حياة الفرد.. فهي لا تُظهر الحقيقة بل تعكسها!

وقـد أقـام علـي تجربـة في ذلـك الأمـر مـع مريضـة لديه تعـاني من Dissociative identity disorder-اضطراب تعدد الشخصيات، فعندمـا تدخل عيادته لحضـور جلستها كان أول ما يفعلـه، أن يجعلها تقف

أمام المرآة ويسألها: أوصفي لي شايفة نفسك ازاي؟، فترُد بثقة: ست في أول الأربعينات شعري أسود بس فيه شوية خُصل بيضاء، وشي بان فيه التجاعيد معدتش زي ما كنت.. سُنّة الحياة. تبدو إجابتها طبيعية صحيح؟، لكن تلك المريضة لم تُكمل عامها التاسع عشر بعد!، منذ ذلك الوقت وقد أدرك أن كل شخص يرى نفسه كما يُريد أن يراها وليس كما تبدو في الحقيقة.

****

دخل عيادته وبدأت علياء بإدخال المرضى واحدًا تلو الآخر، فأخذ يعرض الفكرة عليهم ويُسجل ردود أفعالهم:

الحالة الأولى "يوسف"

- ها إيه رأيك يا يوسف؟

- مش عارف، تفتكر هقدر أندمج مع حد بعد كل اللي حصل ده يا دكتور؟

- لـو أنا كنـت شايف إنك متقدرش مكنتش هعرض عليـك الفكرة من البداية، أنا كدكتور بقولك.. يمكن تلاقي علاجك في اختلاطك بالناس

- لكن الناس مؤذية..

- مش كلهم يا يوسف.. في ناس بيكونوا علاج، وأنا هبقى معاك خطوة بخطوة ولو لاحظت أي تراجع في حالتك أكيد مش هسيبك تكمل!

- اللي تشوفه..

الحالة الثانية "وَنَس"

- إيه رأيك في الفكرة؟

- حلوة ابتهج علي حتى أضافت جملتها الأخيرة ليهم مش ليا..

– ليه بتقولي كده؟

– أصـل مشـ معنـى إن كل واحد منهم مـر بمشكلة أنـه هيفهم مشاكل غيره.. وأنا مشكلتي خاصة شوية، ومهما حاولوا يداروها هتظهر في نظراتهم

– عارفـة إيه اللي بيخليهم يبصوا لك كده! ×نظرت له باهتمام مُنتظرة أن يُكمـل× إنتـي.. ضعفـك وخوفك منهـم بيبقى واضح لهم جـدًا وبيسلط الضوء على مشكلتك، اللي هي أصلاً مش مشكلة

– لا مشكلة ومش هتتحل بإني أواجه الناس زي ما إنت بتحاول

– خلاص اثبتي لي العكس، وجربي

– هتئذي أكتر..

– ونس إنتي عيزاني أعملك إيه؟

– تعالجني..

– من إيه؟، لم يجد ردًا اللي بيطلب العلاج ده شخص مريض، لكن إنتي مش مريضة، إنتي خايفة!

سكتت وبقيت تنظر في الأرجاء

الحالة الثالثة "فرح"

– إيه رأيك بقى؟

– بصراحة يا دكتور الفكرة حلوة، لكن مظنش إن اشتراكي فيها هيفيد أي حد

– لكن ممكن يفيدك

– هكون أنانية أوي، وكفاية اللي أنانيتي اتسببت فيه

– إنتـي عمرك ما كنتي أنانيـة، بلاش تقنعي نفسـك بالفكرة دي، جلد

الذات ده هيوصلك لطريق سد لا فيه رجوع ولا له نهاية.. إسمك فرح وكنتي فرحـة لكل شخص دخلتـي حياته، ومشـ موقف ملكيش ذنب فيـه هو اللي هيكرهك في نفسك

- الكلام ده حلو لكن مش حقيقي

- بإيـدك تخليه حقيقي.. استغلي الفرصة اللـي بعرضها عليكي وقابلي ناسـ فاقديـن الرغبـة في الحيـاة وكـوني لهم طـوق ينجّيهم مـن الغرق!، واستمدّي منهم قوة ترجع حبك لنفسك وتثبت لك إن عمرك ما كنتي وحشة

- تفتكر هقدر؟

- فرح اللي أنا أعرفها.. تقدر وأنا واثق في ده

- أجابـت بطريقتهـا الأنثوية وبحماسـ بدا مصطنع: وأنـا مش هخذل ثقتك؛ معاك يا دكتور

الحالة الرابعة "رحيم"

- ها يا رحيم بقالك ساعتين ساكت

- مش عارف يا دكتور علي بس مش عايز

رحيم من أكثر الحالات المُقربة لـ علي والذي يتعامل معه كـ أخ أصغر له

- ليه؟

- هستفاد إيه يعني؟، ولا اللي وافقوا هيكسبوا إيه!، دي ناس بتدوّر على أي حاجة تعملها عشان يقنعوا نفسهم إنهم كويسين وإن في أمل

- طب لعلمك بقى اللي هما بيعملوه هو ده الصح

- إيـه الصـح في كـده؟، الصـح إني أقنع نفسـي بأحـلام وأعلّي سقف

طموحاتي عشان أتصدم في واقع اسمه الحياة يجيبني على نافوخي؟

– أجابه علي باستنكار: لا طبعا ميصحش، لكن الصح إنك تفضل واقف مكانك مستني الموت ومتفكرش حتى تحاول عشان مفيش أمل وكل حاجة سوداء!

– ما أنا كده كده هموت.. الدنيا دي مش دايمة وأي حاجة بنعملها هتزول

كان أمـام رحيـم على المكتب كوب من ×النسكافيـه× لم يشربه بعد على الرغم من وجوده منذ زمن، فتظاهر علي بأنه يأخذ بعض الأوراق، وأسقط الكوب عليه عمدًا، نهض رحيم مسرعًا وهو منزعج، فقال علي متصنعًا:

– يا نهار أبيض، أنا آسف جدًا

بدا رحيم منزعج فأكمل علي:

– أدخل الحمام اغسل بسرعة

– لأ خلاص بقى، هروح البيت آخد شاور.. أخذ محفظته ومفاتيحه سلام أنا بقى

– أمسك علي بمعصمه قبل أن يرحل وقال: هتستحمى ليه؟

– هو إيه اللي ليه؟، مش شايف البهدلة اللي إنت بهدلتها لي!

– وإيه الفايدة.. مش ممكن هدومك تتبهدل تاني؟!

نظـر له رحيم وقد فهم غرض علي مـن حديثه لكنه لم يجد إجابة، كان حديث رحيم من البداية خاطئًا، فكيف يجدر به تبرير الخطأ؟!

الحياة لم تُخلق لننتظر الموت، بل الموت وُجد لندرك قيمة الحياة.

سكـت رحيم؛ فـأدرك علي أنـه انتصـر، ولم يبقى لـ رحيـم سوى قبول الهزيمة كما يراها

رحيـم هو آخر المرضـى الذي أراد علي مشاركتهـم، فبعد رحيله اتصل بـ نورسين ليخبرها عن المستجدات، وفي تلـك الأثناء كان أحدهم قد وصل العيـادة؛ لمقابلة علي، ألقى الزائر التحية على علياء وسألها عمّ إن كان علي بالداخـل بمفـرده، فأجابته أنه كذلك وعرضت عليـه أن تدخل لتبلّغه، لكنه رفضـ عازمًا أن يدخل له بنفسـه، فاتجه إلى ناحية مكتب علي واقترب منه وقبل أن يفتح الباب سمع صوته يحادث أحدهم، فبقي خلف الباب يسترق السمع.

❊❊❊❊

اتصـل علي بـ نورسين وقـد أجابت على الفـور، فأخبرهـا مباشرة أنه عرضـ الفكـرة على بعضـ المرضى و وافقـوا، ظهرت السعـادة على صوت نورسـين، مرددة عبارات الشُكـر والامتنان لـ علي، سألها إن كان من الممكن أن يتقابـلا اليوم؛ لمناقشة التفاصيل، فاعتـذرت منه لوجودها برفقة أختها حتـى يبتاعوا فستان الزفاف وعدم تفرغهـا، وبذلك أنهيا الاتصال على أن يلتقيان في وقتٍ لاحق.

أغلق علي هاتفه و وضعه على المكتب، وأسند ظهره على الكرسي بإرهاق شديد، فقاطعه دخول أحدهم، ما أن رفعَ رأسه حتى رأى محمد صديقه يقف أمامـه، رحّب به بعفويـة وتلقائية ثم طَلب له فنجان قهـوة وجلسا يتحدثان ويمزحان سويًا، ولكن ذلك المزاح لم يدُم طويلاً، فقد احتدت ملامح محمد ثم سأل علي بغتة:

- بقولك يا علي مين اللي إنت كنت بتكلمها قبل ما أدخل عليك؟

- تفاجأ علي من السؤال وقال: واضح إنك وقفت برة كتير

– يعني مش أوي..

– قال بنبرة جادّة: بتتصنت عليا يا محمد؟

– لا بتصنـت ولا حاجـة، جيت أدخـل لقيت معاك مكالمـة قولت استنى برة.. جرى إيه يا علي، مالك؟

– إنـت اللـي مالك يا محمد، مـن إمتى وإنـت بتهتم بمكالماتـي.. فاكر نفسك خطيبتي!

– لأ فاكـر نفسـي شريـكك في اللي اتعمـل وأي حاجة غلـط هتودينا في داهية.. كلمت نورسين ليه؟!

– ولما إنت سمعت كل حاجة، بتسألني بكلم مين ليه؟

– صرخ محمد قائـلاً: سمعت بس مفهمتش.. إيه اللي بيربط البنت دي بالحالات اللي عندك!، هي عرفت حاجة؟

ظلّ علي صامتًا، فصرخ محمد مجددًا:

– ما تنطق يا علي.. نورسين عرفت حاجة؟

على الرغم من شخصية محمد الفكاهية والمرحة، إلا أنه الأسوأ حينما يغضب.

– معرفتش.. ممكن تسكت شوية، ولا إنت جاي تتخانق

– لا هتخانق ولا غيره، اتفضل فهمني اللي بيحصل

لم يكـن أمامـه حلاً سـوى أن يروي لـ محمـد كل ما جرى مـع نورسين، والاتفاق الذي دار بينهم.

– قال محمد باندهاش: معنى كده إن نورسين أول حالة تدّي رد فعل قوي تجـاه اللي حصل.. هايل جـدًا ×تذكر كلام علي عن فكـرة نورسين ثواني، عايز تفهمني إنك قبلت تساعدها في اللي هي قالته!

- أيوة

- إنـت عبيط يا ابني، فاكر نفسك في فيلـم!، وهي شايفة إن بـ اللي هي بتعمله ده هيغير حاجة مثلاً؟

- مشـ يمكن فعـلا تقدر تساعدهم، وبعدين إنت إيـه اللي مضايقك ما تعمل اللي هي عيزاه!

- بعيد عنك.. تعمل اللي هي عيزاه بس بعيد عننا يا علي، نورسين فكرت في الفريـق ده عشان حست بالشفقة على الناس اللي شافتهم، بتحاول تريّح ضميرها بإنها تساعد أي حد عشان معرفتش تساعدهم

- هـي ملهاشـ أي علاقة باللـي حصل لهم عشان تبقـى محتاجة تريح ضميرهـا.. الفكرة مش وحشة، وممكن تساعـد ناس كتير، العلاج النفسي مقدرش يساعدهم

- قال بنبرة واثقة: إنت صح مش هي اللي بتريّح ضميرها..

- تقصد إيه؟

- أقصـد إنـك حاسس بتأنيـب ضمير مـن ناحيتها وعشـان كده قبلت الموضوع ده، مش كده؟

- ولو كده، فيها إيه يا أخي.. على الأقل لسة عندي ضمير!

- وكان فـين ضميرك ده واحنا بنظبط كل حاجة سوا.. فوق يا علي اللي بيحصل لها ده هو اللي احنا كنّا عايزينه، سلام يا دكتور

خـرج محمد غاضبًا، وبقي علي جالسًـا، فتح درج مكتبه الأخير، لتظهر خزنتـه، فأدخـل الرمز السري ثم أخـرج منها ملف وبـدأ باستخراج الورق

منه؛ حتى ظهرت ورقة بإسم "نورسين مصطفى" ويندرج تحتها العديد من المعلومات حـول نورسين.. محمد مُحق، علي يشعـر بالندم الشديد تجاه ما تمـر به نورسين، لكن هذه هي النتيجة التي أرادها فلمَ الندم؟، ألا يجدر به أن يكون سعيدًا الآن؟

قاطـع شروده اتصـال من محمد، نظـر للهاتف بغضب ثـم أجاب على مضض، ليقابله حديث محمد الصارم:

- اعمـل اللـي إنت عايزه يا علي، اللي يفرق معايـا إنك تبلغني أول بأول بـأي جديد، وتحـاول تعـرف تفاصيل كل حاجـة شافتها وعاشتهـا وتسجّل انطباعهـا عن كل حاجة.. أنا معنديش استعداد أضيّع فرصة زي دي عشان خاطر ضميرك، سامعني؟

- أجابـه وهو يحاول منـع نفسه ألا يسبّه: خلصنا يـا محمد، كانت ليلة واتفضت

أغلق علي الهاتف قبل أن يستمع لرد محمد؛ فهو على علم بما سيتفوه به علـى كل حال، لملم أغراضه بضيق وخرج من العيادة متجهًا إلى منزله، بعد أن ألغى جميع المواعيد الباقية لليوم.

****

(11)
الجميع حزين، الجميع يُعاني

تظاهــرك أنــك بخير لا يعني أنك حقًا كذلك، كونــك تُمثل دور الأمير لا يجعلك أميرًا.. فبعد انتهاء المشهد سيتوجب عليك خلع القناع.

الأمــر الســئ هنا يكمن في نظــرة الناس لك، فهم يرونــك أميرًا دائمًا، ويتغاضون عن نزعك للقناع!

هــم فقط يرون ما يــودون، وأنت أيضًا تفعل المثل.. لــذا على الجميع أن يعلم، أن الجميع حزين والجميع يُعاني، فزيادة مدة ارتدائنا له، لا تعني أنه سيدوم. أرأيت يومًا بركانًا بقي هادئًا دون أن يثور؟

دخــل علــي منزله، بــدّل ثيابــه و وضعهــا في مكانهــا المناســب بنظامه الشديــد والمُعتــاد، ثمّ جلس على مكتبــه ينظر للشرفة المجــاورة له باندماج شديــد يُفكر في نهاية مــا يفعله، الحزن يحاوط قلبه فيمنعــه من الابتسام، تُــرى ماذا سيحدث لنورسين بعد أن تكتشف الحقيقة، هل ستبقى ممتنة له علــى مساعدته، أم أن النــدم سيحاوطها كحاله الآن.. هل يقوم باستغلالها لصالحه أم أنه حقًا يودّ مساعدتها؟

وردتــه رسالة مــن نورسين تخبره أنها متفرغــة لمقابلته في العيادة بالغد إن كان وقته يسمح، فرد عليها بالموافقة، وفي الوقت نفسه وصلته رسالة من وَنَســن تخبره أنها وافقت على الانضمام، ابتسم وهــو يقرأ الرسالة ثم أغلق هاتفه وعاد لينام.. ولكن كيف له أن ينام بهدوء؟

تدخـل عقله؛ لُيعيد له لحظـات كرهها بقدر ما كانـت جميلة، فجمالها أعمـاه لدرجـة لم يستطِع رؤية مـدى قُبحها.. كتلك اللحظة التـي قَبِلَ فيها مشاركة محمد ليفعلا ما فعلاه!

****

مـرّ اليوم بروتينه المعتـاد والمرهق لـ علي، حتى وصلـت نورسين العيادة فشعـر وكأنما وجودها يساعده على شحـن طاقته من جديد، يعجبه الفكرة التي يعمـلان عليها سويًا وكونها لا ترتبط بعمله وليست جدّية بالشكل الذي يبغضه علي، سألها عما تود شربه، فطلبت منه تأجيل المشاريب والدخول في صلب الموضوع، وقد فعل:

– مبدئيًـا كـده هيبقى معاكي خمسـ حالات، وكلهـم مشاكلهم حسيتها قريبـة من اللي إنتي شوفتيه.. وأعتقـد هتساعدك ×مد يده بملف تجاهها× الملف ده فيه تفاصيل عن الحالات وملاحظاتي عليهم، وطبعا أنا واخد إذنهم

– ماشاء الله ده إنت جاهز بقى

– حـد يشـوف حماسـك وميستعجلش.. المهـم أنا عرفتهـم إنك عايزة تعملـي حاجة تأثـر في الناس وتساعدهـم، وإنك بتحـاولي تصلّحي عادات كتير غلط.. وعشان كده قررتي تكوّني التيم ده ويبدأ من عندكم

– هايل جدًا وده فعلاً اللي أنا عايزة أحققه.. ×تصفحت الملف فلم تجد سوى بيانات لأربع أشخاص فقط× مش قولت لي إنهم خمسة؟

– لم يفهـم ما تعنيه؛ لذا أشارت للملف، فقـال: اااه.. الحالة الخامسة مش هتقابليها دلوقتي

- اشمعنى؟

- عشان دي حالة مميزة

- اشمعنى برضه؟!

- ابتسم ثم غيّر دفة الحديث قائلاً: مش ناوية تقرأي؟

- سيبنـا من الورق، أنا هقولك الإسم وإنـت تديني ملخص عنه هيكون أسرع وأوضح.. تمام؟

- تمام

- رحيم..

- رحيم ده أكتر شخص متشائم في الحياة، وشايف الدنيا سوداء.. بيني وبينـك هو شايف الدنيا صـح، لكنه عنده شوية معتقـدات مدمرين حياته، وده مشـ بسببه؛ ويمكن ده السبب الرئيسـي اللي بيخليني عايز أكون قريب منـه أكتر من دكتور بيعالجه. رحيم وهو صغير كان مُبهج جدًا ومليان طاقة ونشـاط أضعاف أي طفـل في سنه، بيعـرف يغني ويلعب مزيـكا وبيرسم.. حقيقي كان موهوب بشكل ميتصدقش، لما قعدت مع أهله وشوفت فيديوهات له وهو بيلعب وبيعزف اتصدمت، لا يُمكن أصدق أنه نفس الشخص..

- وإيه اللي حصل؟!

- بعـد جلسات كتير وكلام اتقال منه ومن أهله، عرفت إن السبب الأول والأخير هما الأهل، على الرغم من إن أهله كانوا مبسوطين باللي بيعمله إلا إنهم كانوا خايفين يستمر على ده وينجذب للمجال الفني ويضيع مستقبله.. كانـوا شايفين موهبته ضياع، منعوا عنه كل حاجـة كان بيحب يعملها وكأي

طفل كان بيعاند ولكن عناد رحيم مكنش بالعياط أو التكسير، كان بيرد لهم اللي اتعمل فيه، منعتوني من حلمي!، مش هحقق لكم حلمكم.. وبدأ تدريجيًا يبطل يحضر دروس ويهمـل في دراسته، ويقطع علاقاته مع صحابه وينعزل عـن الكل.. وأصبح بينه وبين أهله حاجز بيمنعه يقرب منهم، والموضوع بدأ يزيد، وفي أول سنة في الجامعة مكنش قدام عيلته غير إنهم يقبلوا موهبته، لكـن للأسف كانت بعد ما شغفه انتهى، ولكـن لحُسن الحظ في تالتة ثانوي حالتـه كانت اتحسنت شوية عندي، جاب مجموع قدر يدخلّه صيدلة خاص، وقتهـا كنت بحاول أقنعه ينقذ أي حاجة في مستقبله.. وأصبح رحيم الشاب اللي عنده ٢٣ سنة، بروح راجل عدّى الأربعين معندوش أي هدف في الحياة، فاقـد الرغبـة في كل حاجـة، حـاول ينتحر كتير جـدًا بس الحمـد لله ربنا بيسترهـا، وبعـد يأس قـرر بدل ما يـروح للموت يقعد من غير مـا يعمل أي حاجـة لغاية لمـا الموت ييجي له.. إحباط الطفل لـو متعالجش بدري بيتحوّل لمشكلة كبيرة أوي لما يتقدم في العُمر

– رحيم محتاج يرجع تاني للحاجات اللي كان بيحبها..

– حاولت معاه كتير وكان رافض

– يمكـن عشان مكنش حاسس إن حد بيشجعه!، معاك الفيديوهات اللي قولت عليها؟

– معايا نسخة منها

– حلـو جـدًا، جات لي فكـرة حلوة أوي، بـس عيزاك تعملـي نسخة من الفيديوهات لو سمحت

– بسيطة، بس إيه هي الفكرة؟

– مش هقولك دلوقتي، يلا قولي بقى إيه حكاية يوسف؟

– يوسـف ده أكتر حد مشكلتـه تبان بسيطة على الرغـم من تعقيدها.. الأول كـده يوسف عنده ٢٥ سنة وصانع محتوى علـى اليوتيوب، ونقدر نقول كان مشهور على مواقع التواصل

– ردت باستنكار: كان؟!

– ما هو الحوار كله هنا، يوسف كان من الشباب اللي بيصاحبوا عشرين بنـت في نفـس الوقت وعايش حياته أوي من الناحيـة دي، وبعدها قابل بنت وحبّهـا، وربنـا هـداه وبِعد عـن السكـة دي، واتقدم لهـا بعد مـا اتأكد من مشاعرها وقرؤوا الفاتحة..

– لحد هنا تمام، فين المشكلة بقى؟

– المشكلة إن حصلت خناقة بينه وبين واحد من صحابه، صاحبه ده كان معـاه صور قديمة له مع البنات اللـي كان يعرفهم، وكان معاه الباسورد بتاع حسابه بحكـم أنه صاحبه وبيعتبره أخوه، فأخـوه الأصيل فتح حسابه ونزل الصـور دي عنده، طبعًا الصور ضـرّت البنات لما أهاليهم شافوها وحصلت مشـاكل والناس كلهـا قلبت ضده.. بمـا فيهم أهل حبيبته علـى الرغم من كونهـا مصدقاه بس أهلها أجبروهم ينفصلـوا على أساس أنه واحد سمعته زفت واللي هتكون معاه مش هتسلم من كلام الناس.. ومن وقتها وهو رافض يتعامل مع أي شخص، وابتعد تمامًا عن التواصل الاجتماعي وكل التطبيقات المتعلقـة بيه وأصبح من المستحيل أنه يثق في أي حد.. أنا عانيت معاه عشان يبدأ يحكي لي

– عـارف احنا ممكن نجيب شخص بيفهم في الهكر ونخليه يثبت إن البوست ده نزل من جهاز صاحبه

– مش فارقة من جهاز مين طالما اللي في الصورة يوسف

– قالـت بأداء مبالغ: لا ما احنا هنهدده إنه لو معترفش على نفسه قدام الناس هنبلـغ عنه، ومعتقدش هو هيرفض يعني وبكـده نكون حسّنا صورته شوية للناس، وبعدها نروح لوالد البنت ونفهمه الحكاية

– علّق على فكرتها ضاحكًا: شغل أفلام أوي

– وهي يعني الأفلام دي جت منين!

– وجهة نظر

– كده باقي لنا وَنَس وفرح..

– فرح يا ستي عندها ٣٠ سنة، بتشتغل life coach بمعنى إنها بتساعد الناس يحلّوا مشاكلهم ويفهموا نفسهم أكتر من خلال مجموعة مواضيع أو خطـوات معينة بيتّبِعوها، هي حقيقي شخصية بتضيف بهجة لأي مكان هي فيـه.. لكن بسبب موقف اتعرضت له مقدرتش تكمل، وسابت الشغل وبرضه قررت تنعزل عن الناس وبدأت تشوف نفسها إنها بتَأذي اللي حواليها.

– إيه اللي خلاها تحس بـ كده؟

– مـرة وهي مروّحة شاب عاكسها، وبدأ يتطـاول بالإيد فـ شخص تاني تدخـل عشان يساعدهـا، احتدت المشكلـة صحاب الشخص اللـي ضايقها اتجمعـوا على الولـد وهاتك يا ضرب.. حصلت له مشكلـة في رجله الشمال عملت له إعاقة

- ربنا يصبره ويشفيه، ده اللي سبب لها أزمة نفسية؟

- بالضبط.. وللأسف هي مقتنعة كامل الإقتناع إنها السبب في اللي حصل..

- طب ودي هنعمل معاها إيه؟

- أنـا شايف إنها لما تشـارك في المشروع هتقدر تـدّي طاقة إيجابية للي حواليهـا وبالتـالي هينعكـس ده في ردود أفعالهـم فهيثبت لهـا إنها بتسيب بصمة حلوة للي حواليها مش بتئذيهم

- حلو ده أوي.. طيب و وَنَس؟

- وَنَـس يـا ستـي مشكلتهـا الحقيقية مشـ نفسيـة، مشكلتهـا للأسف جسديـة.. مـن غير تفاصيـل لأنها مشـ هتحـب ده، vitiligo أو المعروف بالبهـاق، للأسف صاب أجـزاء كتيرة من جسمها وخاصـةً وشها.. وبرغم إن أهلهـا مرتاحين ماديًـا إلا إن ده مأفدهاش في حاجة؛ لأنه للأسف ملوش علاج، وطبيعي احنا كبشر عينينا بتروح للحاجة المختلفة في الصورة ونفضل نبحلق فيها لغاية ما صاحبها يكرهنا ويكره نفسه!

- أكيد الموضوع مأثر فيها أوي وأكيد بتفكر في مليون حاجة مع بعض، وكل حاجة كانت بتحلم بيها بقت بالنسبة لها سراب.. تفتكر وجودها معانا هيفيدها؟

- أو هيئذيهـا.. علـى حسـب ردود أفعالنا تجاهها، بس كـون إنها قبلت تكون وسطنا دي خطوة حلوة وأتمنى إن نتيجتها تكون أحلى، بالمناسبة وَنس عندها هواية حلوة أوي، بتعمل حاجات hand made حلوة جدًا

- ممكن نستغل النقطة دي، هي عندها كام سنة؟

- ٢١

- حضرتك مش ملاحظ إن أغلب المرضى في العشرينات والتلاتينات!

- مين قال لك إنهم في الـ الحدود دي؟

- أعمارهم اللي حضرتك قولتها لي

- هههههـه أعمارهـم دي مجـرد خانة مش أكتر.. لكن لـو جينا للحق فأغلـب المرضى متعدّوش الـ ١٩ سنة!، الفكرة بـس إنهم بيكتشفوا الموضوع متأخر أوي، لكن لو رجعنا للسبب الأصلي هنكتشف أنه بيبدأ في عمر صغير أوي، رحيم بدأ معاناته النفسيّة وهو عنده ١٢ سنة مش ٢٣، و وَسن تعرضت لضغـوط خلت البقع ظهرت وخلتهـا متحبش تتعامل مع الناس وهي ١٧ سنة مش ٢١..

- طب واشمعنى السن ده؟!

- عشـان هـي دي مرحلة النُضـج، اللي لو متمتش بشـكل صحيح هتأثر في الشخص مـدى الحياة، السِن ده أشبه بطفل عاش طفولته نظره ضعيف بيحلم يشوف الناس اللي حواليه، وأول ما لِبس النضارة اكتشف أنه لوحده!، الرؤية الحقيقية بتبدأ في السن ده وأول حاجة الطفل هيفتح عينه عليها هي اللي هترسخ في ذهنه مهما حاولنا نقنعه بالعكس.

- معاك حق، كل اللي قولته صح..

- بالمناسبـة يـا نور أوعي تعملي أي حاجة معاهـم قبل ما تعرفيني، هما صحيح حالتهم متزنة لكنهم لازالوا مرضى!

- أكيد طبعًا، في حاجات عايزين نبدأ في تنفيذها

- اللي هي؟

- ابتسمت ببهجة وقالت: لازم نشتغل على فكرة معينة
- فكرة إيه بقى؟
- أجابت باسمة: الحياة حلوة بس نفهمها

****

رحلـت نورسـين، وجلس علي يُدنـدن كلمات الأغنية، فقـام بفتح هاتفه وتشغيلها.

"الحياة حلوة.. بس نفهمها
الحياة غنوة.. حلوة أنغامها
ارقصوا وغنوا وانسوا همومها"

(12)
الحياة حلوة، بس نفهمها

الحيـاة ليست بذلـك السوء، فهـي مليئـة باللحظات السعيـدة، ولكننا نتجاهلهـا مقابل ذكرى سيئة.. هل فكرت يومًـا ما الذي سيحدث إن فقدت تلك الحياة؟

العديد من الأشخاص يتمنون ذلك بالفعل، لكنهم لا يعنون الأمر.. فإذا فكرت جديًّا ستجد أنك تود أن تتخلص من أعباء الحياة، لا أن تتخلص من حياتك!

المـوت لا يعني أنك ستُنهي ما يؤلـك، بل أنه العكس تمامًا؛ فالموت يسلب منك قواك، بعكس الحياة التي تملؤك بالقوة؛ لتتخلص من كل ما يزعجك، ولكنك أنت الذي يأبى.

كيف تظن بأنك ستتجاوزهم وأنت الذي لازال ينتظرهم؟

كيف ستتقدم وأنت لازلت تنظر للوراء؟

راجـع حساباتك وافهم الحياة جيـدًا، أو لا تفهمها فقط عِشها كما هي، وكل يـوم حينما تستيقظ انظـر في المرآة واشكر نفسك التـي تحملت أعباء الأمـس وأطلب منها راجيًا أن تتحمـل المزيد، وطمئنها بأن المزيد ربما يكون خير واسع لا تملّ منه.

عزيـزي القـارئ: أعلم كم أن العالم مـؤذي لك، ولكنـك لا تعلم كم أن العالم مؤذي بدونك.. لذا أرجوك ابقى على قيد الحياة، والسعادة.

مـرت ثلاثـة أسابيـع مليئة بالعمـل لنورسين وعلـي، فقد أجَّـروا غرفة ستوديو؛ لتجمعهم مع باقية الفريق، وقاموا بوضع أربعة مكاتب حول بعضهم، علـى كل مكتب أدوات خاصة بشخصية صاحبه، وجعلوا ديكور المكان هادئ مُريح للعـين، ولكنهم لم يكونوا ليتمكنوا من الإنتهاء لولا مساعدة مصطفى -والـد نورسين- لهم، فقد أحب كثيرًا الفكرة خاصـةً حين رأى السعادة في عـين نورسين؛ فأدرك حينهـا أن السعادة الحقيقية تكمن في رؤية من حولك سعـداء، تكفل بتكلفة تحضير المـكان من أثاث وديكور وغيره، وإرسال عُمّال لمعاونتهم، وأصّر "علي" على دفع الإيجار.

****

وبعد العديد من التجهيزات، ها قد حان الموعد المنتظر:

كانـت نورسـين أول من يصل؛ لتكـون في استقبالهم، وبعـد عشر دقائق دخل علي وخلفه مجموعة صغيرة من الشباب، كانت تراقب دخولهم وتحاول تخمين هويتهم، لكن ما لفت ناظرها وجود فتاة منتقبة تُمعن النظر في أحد الشبان الواقفين وكأنها تعرفه، قاطع تمعنها صوت علي مازحًا:

- دي نورسـين صاحبـة الاختراع ده، ممكن ندخل نقعـد عشان أعرفِك عليهم واحد واحد

- قالـت نورسـين: اتفضلـوا، في أربـع مكاتـب، كل واحد يختـار المكتب الأقرب لشخصيته

اتجـه أحدهم للمكتـب الذي يتوسطه معـدّات تصوير وجهـاز حاسوب فأدركـت نورسـين أنـه يوسف وهـو الشاب ذاته الـذي أطالت تلـك الفتاة

النظر إليه. اتجهت بعده الفتـاة المنتقبة لمكتب ملئ بأدوات الأعمال اليدوية مـن خرز وألوان وخيـوط ملونة وأقمشة، فعلمت أنهـا ونَس، لكن نورسين لم تفهـم أهي حقًا منتقبـة أم أنها فقط تُريد أن تختبئ خلـف نقابها.. تبعتها الفتـاة الأخيرة تجاه المكتب الأكثر هدوءً؛ ملئ بالشموع العطرية ودفتر كبير لتسجيل الملاحظـات، ولوحة لتسجيل المهام، في الواقع قبل أن تتجه للمكتب أدركـت نورسـين أنها فرح فلـم يتبقَ غيرها مـن الإناث.. وأمـا عن الشاب الأخير فلم يُحرك ساكنًا، ظل واقفًا يراقب بعينه المكتب الأخير الذي اعتلاه بعضـ الآلات الموسيقية البسيطة وبعض أدوات الرسم، كان من الواضح أنه "رحيـم" أكثر الحالات التي أرادت نورسـين رؤيتها.. أطالت النظر إليه، متوسـط القامة، جسـده رياضي، ملامحه عاديّة لكنهـا جذابة.. لم يجذب اهتمـام نورسـين سوى نظرتـه الحادّة تجـاه الآلات الموسيقيـة، أحبت تلك النظرة ولكنها أخافتها؛ جعلتها تشعر كما لو أنه سيقوم بتدميرهم في أي لحظة.

– قال علي: مش هتقعد يا رحيم؟

– لاحظـت نورسـين انزعاجـه فقالـت: لو الحاجـات اللي علـى المكتب مضيقاك ممكن نشيلها عادي..؟

– أجاب رحيم على استحياء: مش مشكلة

بعد أن جلس الجميع بدأت نورسين حديثها قائلة:

– بدايةً كده شكرًا جدًا إنكم قبلتوا تيجوا، وحقيقي مبسوطة إني هتعرف عليكم.. ثاني حاجة بقى: فكرة المكان ده إننا نكون مع بعض ونساعد بعض، بمعنى إن مفيش أي حد مُجبر يقول مشكلته، لأن ببساطة احنا جايين نشجع

بعضـ ننسى اللـي فات مش نتحاسب فيـه.. بس ده ميمنعشـ إن اللي عايز ممكـن يحكي اللي مضايقه، لعلّ حد يقدر يساعده.. إيه رأيكم بقى نبدأ كل واحد يعرف عن نفسه؟

صمْتُ الجميع جعلها تشعر كما لو أنها تُحادث نفسها، فتدخل علي:

- إيـه يا شباب مش جايين ننام!، هههههه أنـا مقدر إن الكل متوتر بس خلينا نبدأ نتكلم عشان نخفف الحدّة دي..

- قالـت وَنسـ: أنا ممكن أبدأ.. اسمي وَنس عنـدي ٢١ سنة، عايشة مع أهلي، للأسف بطلت دراسة بعد الثانوية وندمانة على ده

- قاطعتها فرح متسائلة: وليه بطلتي؟

بـدت علامات التوتر واضحة على ونس للجميـع، فحاول علي تغيير دفّة الحـوار لكن وَنس أوقفته عن الحديث حينما رآها تفُك عُقدة النقاب وتزيله عن وجهها فتظهر بُقع التصبغات واضحة.. حينها قالت:

- أظن الإجابة واضحة!

- قال يوسف: إجابة إيه؟، إنتي مقولتيش حاجة أصلاً..

التفتت تجاهه أكثر؛ ليرى آثار البهاق، فلم يُبدي اكتراثًا لها

- أيوة فين الإجابة برضه؟

- وشـي.. دي الإجابـة، مقدرتشـ أستحمل نظرات زمايلـي ليا فقررت أسيب التعليم، كان قرار غلط بس وقتها كان هو الحل

- تجاهـل يوسف ما قالته، ونظر لمن حولـه، ثم قال: إنتوا ساكتين ليه يا جماعة.. ما حد يُرد عليها!

– ابتهج علي من ردة فعله وأجاب: ما ترد إنت وتورينا شطارتك...

– والله لولا إنها بنت.. اسمحيلي يعني بس إنتي اللي شايفة نفسك كده، إنتي اللي بتحسسي اللي حواليكي إن دي مصيبة مع إنها مش حاجة.. عارفة ليه مش حاجة؟، عشان مش إنتي السبب فيها، ربنا كتب إن ده يحصل اعتبريه ابتلاء واحمدي ربنا مش تتكسفي منه، وتوقفي حياتك عشان الناس ونظراتهم!، الناس اللي إنتي خايفة منهم دول عُميّ، مش بيشوفوا الصورة كاملة ولا حتى نُصها..

لاحظ الجميع انفعال يوسف في الحديث، كان علي ونورسين على دراية بسبب انفعاله، فهو أكثر الأشخاص الذي آذاهم حديث الناس..

– أكمل حديثه: النقاب ده عظيم.. لما تلبسيه عن اقتناع مش عشان تستخبي فيه

– قاطعه علي: اهدى شوية يا يوسف

– أنا آسف إني اتكلمت بالأسلوب ده.. بس الناس ×سكت× كلمة الناس دي بتعصبني

كانت وَنس تشاهده وتستمع لما يقوله في صمت، شئ ما بداخلها سعيد بنظرته لها، وجزء آخر لازال يرى أنها مجرد طريقة لمواساتها.. أما فرح فلم تتمكن من قول شئ، شعرت بالندم؛ كونها من سأل، وكانت تلك نقطة سيئة فالآن عقلها سيُقنعها أنها تؤذي من حولها مرة أخرى. رحيم لم يكن يبالي لهم من الأساس، كان في عالم آخر وهو يتأمل "الجيتار" الموضوع أمامه، ونورسين تراقب شروده الغريب وسط ذلك الضجيج..

– تدخلـت نورسين: أنا شايفة إن يوسف معـاه حق، حرام تضيعي سنين مـن حياتـك عشان خايفة مـن الناس، خاصـةً لواحدة قمر زيـك –لم تكُن مجاملـة، فـ وَنس حقًا جميلة المظهر– إيه رأيك تعرفنا على نفسك يا يوسف بما إنك اتكلمت؟

– يوسـف ٢٥ سنـة، خرّيج كلية حقـوق.. مشكلتي وبـكل صراحة بسبب النـاس برضه ×نظـر للأرض وابتسم× يمكن مشكلتـي مقارنة باللي أي حد عاشه تكون تافهة لكن...

– مفيش حاجة اسمها تافهة، طالما مضيقاك تبقى مهمة لينا كلنا، اتفضل

– ابتسـم وأكمل: أنا كنت مهتم جدًا بالسوشيال ميديا وكنت إلى حدٍ ما معروف، وبرضه إلى حدٍ ما الناس بتحبني.. لكن كل ده اتغير حرفيًا في يوم وليلـة، كلام طلع عليا والناس ببساطة صدقتـه ومكنش قدامي فرصة حتى أشـرح موقفي، كمية تريقة وشتايم وتهريـج قابلتني.. يمكن أنا كراجل رأي النـاس مأثرش فيا غير لما لقيت اللـي بحبهم بيبعدوا عنـي، اللي شاف إن المصلحة خلصـت، واللي شاف إن وجوده جنبي بيخليـه زيي.. وكأني بقيت حاجـة وحشة مينفعش حد يقرب منهـا، وبالمناسبة نفس الشخص اللي بِعد عني هو هو اللي بيعمل نفس اللي كنت بعمله.. بس يمكن أكتر حاجة كسرتني إني انفصلت عن البنت اللي حبيتها، ×تنهد× بس كده من اللحظة دي فقدت ثقتي في كل اللي حواليا، وأي حد بيدخل حياتي ببقى قاعد مستني اليوم اللي هيطلع منهـا، معدتش قادر أحدد الشخص ده صاحبي بجد ولا مجرد فترة وهيمشـي، والحاجة الأكبر بقى واللي مش قادر أفهمها، ازاي الناس ممكن

تقلـب ضدك في أقل مـن ٢٤ ساعة!، هل احنا كبشر سهـل أوي أي حد يغيّر تفكيرنا ويتحكم في رأينا!

– أجابتـه فرح: احنا فعلاً غلابة أوي، لما بنلاقي حد بيقدم محتوى حلو حتـى لو كان بسيط بنفرح بيه وبنشوفه مـلاك مستحيل يغلط؛ فبننسى أنه بشر ومع أول غلطة يعملها بنقلب ضدّه وكأنه تحوّل لشيطان

– أكمـل علي: ده حقيقي، لكن مش معنـى كده تصدق إنك شيطان.. ولا حتى ملاك، إنت بني آم، وبني آدم طبعه خطّاء

بعد جملة علي دام الصمت ثوانٍ حتى قطعه تساؤل نورسين عمّن سيكون التالي، فأجابت فرح:

– أنا ممكن أتكلم.. بس قبل أي حاجة، تصميم المكان حقيقي يجنن

فـرح مُحقـة، فقد اجتهـدت نورسين كثـيرًا بمعاونة علـي؛ لجعل المكان مميـز أو على الأقل خاطف، ينتشلك من بشاعـة العالم ليُلقي بك في جمال الخيـال. الجـدار باللـون الأبيض الذي أبـرز التفاصيـل، الأرض مُغطاة بالخشـب "الباركيه" الـذي شكّل مظهـر أنيق مع الجـدار، يتوسط الغرفة شُرفـة كبيرة أضافت اتساع وهمي لها، يغطـي الشرفة ستارة شفافة باللون الأبيض الهادئ الـذي مكّن الشمس من اختراق المـكان؛ لتُضفي عليه جزء مـن جمالها، وأما عن الأثاث، فـ هنالك أريكـة باللون البني الفاتح "البيج" يعتليهـا بعض الوسادات الملونة بألوان عـدّة وبجانبها كرسي خشبي أضاف لمسـة دافئة للمكان، وفي الجهة المقابلة للأريكـة يوجد الأربعة مكاتب بنفس لون الأريكة، وتلك النبتات التي امتلأت الغرفة بها، وبالطبع كانت لمسة علي

الخاصــة، والتي حازت على إعجاب نورســين بجدارة، فقط النبات يُشعرك بالحياة وإن لم تكُن تحياها!

– اسمــي فرح عندي ٣٠ سنة، كنت بشتغل life coach وبسبب مشكلة حصلــت لي بطلــت.. الحقيقة مش حابّــة أخوض في تفاصيلهــا، لكن شغلي معنــاه إني أساعد النــاس تلاقي سبيلها عشان تكمــل الحياة ولكن بطريقة غــير مباشرة كنت السبب في وَقف حياة شخص بالمعنى الحرفي مش مجرد تعبــير مجــازي، ده خــلاني أشــوف إني مستاهلش المهنة دي علــى الأقل في الفترة الحالية..

بالرغــم من كلماتها المنظمــة والواثقة إلا أن نظراتهــا كانت قادرة على إظهار كم الألم الذي يعتلي قلبها؛ ذلك ما جعل الجميع عاجز عن الحديث، فكونــك أحــد أسباب إيــذاء الغير ليــس بالشئ الهيّن الــذي يمكنك تجاوزه والاستمرار من بعده، فكيف حال من يسفك دماء غيره بغير حق ثم يخلد للنوم؟!

– قــال علي لـ فــرح: تفتكري لو واحدة جت لك بتعاني من نفس مشكلتك بالضبــط كنتــي هتقولي لهــا إنتي متستاهليش تشتغلي وتعيشــي وتمارسي حياتك؟

– أكيــد لأ، حتى لو أنــا شايفة ده، مينفعش أنقله لها.. على العكس دوري هنا إني أطمنها، وأحاول أغير فكرتها دي عشان تعيش

– ومستخسرة تعملي ده مع نفسك؟

– نظرت له بابتسامة هادئة وقالت: فاقد الشئ يُعطيه

– دورك يا رحيم

– نظر رحيم للجميع وكأنه يراهم للوهلة الأولى ثم قال: رحيم أيمن، ٢٣ سنة، كلية صيدلة

انتظر الجميع أن يُكمل، ولكنه صمت.

– إنت كده خلصت يعني؟!

– اعذرني يا دكتور، بس مين دول أصلاً عشان يعرفوا عني أكتر من اللي أنا قولته!

كانـت جملة رحيـم تُعبّر عما في أذهـان الجميع، ومع ذلـك لم يكُن من المناسـب التفوه بها، فقد أثارت نوع من الريبة في المكان، حاولت نورسين أن تغيّر أجواء المكان قائلة:

– بمـا إن كلنا أول مرة نشوف بعض، إيـه رأيكم كل واحد يكتب في ورقة حاجـة عايـز يقولها لـكل شخص هنـا بصراحة ومن غير مـا يكتب اسمه، وبعدها هناخدهم ونحطهم في بوكس صغير ونقرأ عشوائي

شجّـع الجميع الفكرة؛ لإضافة جو من المتعة للقاء وكسر حاجز الصمت الـذي غلّـف المكان، وزّعـت نورسـين ورق على الجميـع ثم أخبرتهـم أنهم سيبدؤون اللعبة بـ علي، فقال ساخرًا من توزيعها للورق:

– الهمة يا شباب خمس دقايق ونلّم الورق

صـوت ضحكاتهم المتداخلة أشبَع شعور الوِحـدة بداخل نورسين، أحبت مظهرهم.. وتحب أكثر كونها سبب في اجتماعهم.

جمعت الورق بعد أن انتهوا ووضعته في صندوق صغير، ثم بدأت بسحبه وقراءته بشكل عشوائي:

– الورقـة الأولى: أخويا الكبير مش الدكتور، التانية: ناجح في شغله بس مشـ في حياته، الورقـة التالتة: عندي اقتناع تام إن لقاءنا وراه سر.. هموت وأعرفه، الرابعة:....

– قاطعها علي وقد تغيّرت ملامحه: هههه مين اللي كتب المسدج دي يا شباب؟

– قالت نورسين: لا كده بتغير شروط اللعبة

– يا سلام!، وهو مين اللي حط الشروط دي؟

– أنـا، اسمع بقى. الورقـة الرابعة: في كل مرة وقعت كنـت إنت أول إيد بتتمـد لي، الورقـة الخامسة والأخيرة: بذلت مجهود كبـير معايا، وكنت كل مرة بخذلك.. آسف، كده خلصنا.. إيه رأيك في اللي اتقال يا دكتور؟

– حلو.. دلوقتي هنكتب عن فرح

بعد جمع الورق

– الورقـة الأولى: متعاملتش معاكـي كفاية بس معتقدش إنـك مؤذية إطلاقًا، التانية: اللي بيموت أو بيتعب ده نصيبه، وجودك أو غيابك لا هيكون سبـب ولا هيكون مانـع، التالتة: أتمنى نكون صحـاب لأني حبيتك، الرابعة: فاضيـة، لأ مش مكتوب كده دي بجد فاضية يـا جماعة!، ×ضحكوا× نكمل، الخامسة: إنتي فرح لأي حد يشوفك مش مجرد إسم.. ها إيه رأيك يا فرح؟

– كلام جميل أوي ربنا يسعدكم، فرحتوني.. دور يوسف

بعد جمع الورق

– الورقـة الأولى: متقولش كلام إنت مش قادر تعمل بيه، التانية: فاضية برضـه، لا أنا عايزة أعرف مين اللي بيسيب الورق فاضي، اللي بعده: أتمنى

ترجع للسوشيال ميديا؛ لأنك كنت الوحيد اللي بيديني ثقة في نفسي ×نظرت نورسـين لـ وَنس فرأتها تنظر ليوسف الذي تعجّب مما سمعه؛ أدركَت حينها أنها صاحبة الرسالة، وعلمت لماذا أطالت النظر له في بداية اللقاء× احم.. الرابعـة: بشكرك إنك بتتجاوب معانـا، الخامسة والأخيرة: إبدأ من جديد، الفشل لسة مش عارفلك طريق. رأيك إيه يا مِتر؟

– لا تعليق، دور فكّر رحيم.. أيوة دور رحيم

بعد جمع الورق

– أول ورقـة: مشـ حابّة وجودك في الـ team، التانية: مرّيت بحاجات كتـير وحشة وده سبب سكوتك.. هييجي وقـت وتتكلم حتى لو الوقت اتأخر، التالتة: حاسس إنك aggressive أوي مع اللي حواليك، اتمنى أكون غلط، الرابعـة: منوّر المكان.. وهتنوّر أكـتر لو حاولت تعتاد عليه، الخامسة: عايزة أسمعـك بتغني ×نظـرت نورسين لـ رحيم، فوجدت ملامحـه ازدادت غضبًا بعدما قرأت عليهم ما في الورقة الأخيرة× إيه رأيك في الكلام؟

– عادي

– دورك يا وَنس

– أجابت بصرامة: لا مش عايزة..

– ليه؟، دي حاجة حلـ....

– فهم علي انزعاجها، فقال: سيبيها براحتها يا نور..

حينمـا تصل أعلى درجـات الوِحدة؛ فتكره البشر، وتُـدرك أن حديثهم المعسول ليس سوى سم، سيقضي عليك يومًا..

– قالت فرح: دورك يا نورسين

بعد جمع الورق

– لا حد تاني يقرأ، مش معقولة هقرأ اللي اتكتب ليا

– أجـاب علي: طب هاتي أنا هقرأ لك.. أول حاجة يا ستي: كونك عايزة تساعـدي ده حلـو، لكـن لازم تعـرفي إن ده احتمـال كبير ميغيّرش حاجة، التانيـة: إسمك حلو أوي ومُختلف، التالتـة: مفيهاش حاجة، الرابعة: عندي إحساس كبير إنك تايهة وسط لغبطة مش لاقية لها مخرج، الأخيرة: ملامحك رقيقة أوي.

– الـكلام حلـو بـس مش واضـح أتمنى لـو أقـدر أعـرف كل كلمة مين صاحبها..

– أجابها علي: في واحدة بتكسر القواعد هنا

– قالـت مازحـة: نسيت إن أنا اللي كتباها ولا إيـه؟.. كده خلصنا يومنا الأول، وختامًـا دكتـور علي هيقول رأيـه في القعدة ويحكـم عليها، وكل مرة هيقول لنا الحاجات الجديدة اللي هيلاحظها. اتفضل

– كنـت متوقـع نتيجـة أسوأ بكتـير في اللقـاء ده، ولكن إنتـوا فاجئتوني بحاجة أحلى بكتير،عشان كده نقدر نقول إن الإجمالي حلو.. بعيدًا عن اللي اتضايـق واللي اتعصب، لإن كل دي مؤشرات كويسة، معنى إن ردود أفعالك اتغيرت؛ يبقى في استجابة. حاجة مهمة أوي حابب أعلّق عليها، لاحظتوا إن كل شخصـ بينصح التاني باللي ناقصـه!، زي بالضبط كفيف بيحكي فيلم لـ أطرش. حلو أوي إنك تنصح غيرك، بس لازم تعرف إنك أولَى بالنصيحة

دي.. ولـو إنت مش بتعمل بيها وصعبة عليـك، اعرف كويس إن اللي قدامك عُمـره ما هيقـدر يطبقها.. عشان تقـدم أكل للي قدامـك لازم تدوق طعمه الأول..

هنالك أشخاص عالقون في بئرٍ عميق، ورغم ذلك إن انكسرت زجاجتك؛ أعطوك قدرًا من الماء، وإن حاولوا الخروج، تطمس ظلمة البئر أملهم.

فالبئر هو الوحدة، وزجاجتك تعني القلب، ويُقصد بالماء.. الوَنس.

❊❊❊❊

(13)
لعلّ القادم أفضل

وإن كنـت تزهـد الحياة، ستجد دائمًا جانبًا منـك يرغب فيها، يريد أن يعيشها آملاً أنَّ القادم أفضل ولكن ماذا إن لم يكُن كذلك؟

استيقظ علي من نومه؛ ليتجه إلى عيادته، وعلى غير عادته فقد استغرق وقـت طويل للنهوض من على الفراش، انقلب حاله فور استلامه رسالة من نورسين قائلة: "صباح الخير.. فرحت بجمعتنا امبارح، بعيدًا بقى عن فكرة التيم الأساسية، بجد شكرًا من قلبي". لم تمُر ثوانٍ من قراءته للرسالة فإذا بها تُرسل له مرة أخرى قائلة: "ممكن تبعت لي رقم فرح و وَنس عشان أقدر أتواصل معاهم، وإنت تتواصل مع الشباب؟".

تـرك هاتفه واتجه للحمـام متجاهـلاً رسالتها، لا يعلم مـا الذي يفعله معهـا، وإلى أي الطـرق سيقودهما!، كان يظن أنه بتلـك الطريقة يُكفر عمّا فعلـه، ولكـن من الواضح أن الأمـر يزداد صعوبة.. مـاذا إن علمت نورسين بمـا يخبئه؟، والسـؤال الأهم ما الـذي سيحدث إن علِـم الجميع بما حدث بموافقتـه!، لقـد كان محمد مُحق لم يكُـن عليه الاستمرار مـع نورسين بأي شكلٍ من الأشكال..

لم يستطِـع تجاهلهـا كثـيرًا؛ فقد أرسل لهـا أرقامهن فـور أن خرج من الحمـام، ولم ينتظر منها إجابة، بدأ بتغيير ملابسه سريعًا؛ خوفًا أن يتأخر على مرضاه.

في تلـك الأثنـاء بـدأت نورسين بتسجيـل أرقامهن، وحادثـت وَنس على "الواتسـاب" معرّفـة عـن نفسها ومتسائلـة عن أحوالهـا، لكنها لاحظت اقتضـاب ردودها، الناتج عن عـدم تقبلها للغرباء وربمـا لنورسين خاصة، لذلك حاولت أن تسألها عن أمر لربما يجعلها تخرج من قوقعتها، فقالت:

- إنتي تعرفي يوسف من قبل التجمع ده مش كده؟

- عرفتي منين!!!

- احنـا كبنات نظراتنا بتفضحنا وبتبقـى مكشوفة أوي تحديدًا لو قدام بنت تانية، تقدري تقولي كده لا يفلّ الحديد إلا الحديد..

- أيوة أعرفه، بس ده هيبقى سر بينّا مش كده؟

- طبعًا كده.. مش عايزة أضغط عليكي، بس لو في أي وقت حبّيتي تحكي لحد أنا موجودة. وصدقيني عُمْر ما حد هيعرف اللي بتقوليه ليا

- شكـرًا إنك كلمتيني.. أنـا مكنتش مقتنعة بالفكرة لمـا اتقالت لي بس الحقيقـة ارتحـت لما اتكلمت مـع ناس جديـدة، مع إني كنـت رافضة تمامًا الاحتكاك بأي حد، بس في حاجة كده في المكان دفعتني إني أتكلم.

- والحاجة دي تبقى يوسف؟

- يمكن، بس مش الحاجة الوحيدة..

كانـت ونس تتحدث بطريقة أفضل ممـا رأتها نورسين البارحة، ففهمت حينهـا أن تلـك الشاشات الإلكترونيـة تجعلها أكثر ارتيـاح، فكما تخفّت في النقاب هي الآن تتخفى خلف هاتفها. بعدما أنهت حديثها مع وَنس قررت أن تتحـدث مع فرح فذلك سيجعل الأمر وِدّي أكثر في اللقاءات القادمة؛ و ربما يساعدها ذلك في تحقيق هدفها بشكل أسرع.

وكالمعتـاد عرّفت عن نفسهـا وسألتها عن أحوالها، ثـم دار بينهما حوار بسيـط بخصوص فكـرة الفريق، فشعرت نورسين أنهـا لم تستصيغ الفكرة كثيرًا وربما تراجع نفسها وتتوقف عن المجئ، لذا أرسلت لها:

- طيب ممكن أطلب منك طلب؟

- اتفضلي

- عيزاكـي تفضلي تيجي التجمعات اللي هنعملها لأن الهدف من الفكرة دي إننا نبقى صحاب وجنب بعض

- هحاول أعمل كده، لكن موعدكيش إني هتغير أو هقدر أساعد حد يتغير

- وأنـا مشـ مستنيـة منك كده، بس طـول ما إنتي معانـا توعديني إنك تشيلـي فكرة إنك مؤذية دي من دماغك!، اعتبرينا بناخد لقاح ضد آذاكي، وشوفي الدنيا هتوصل معاكي لإيه..؟، اتفقنا!

- ماشي

****

تعمـدت نورسـين ملاحظة شخصياتهـم من طريقة حديثهـم معها؛ في محاولـة منها أن تكتشف طريقة إعادة مـا فُقِد سابقًا، بدأت نورسين العمل علـى عدة أشياء منها البحث عن فرح على مواقع التواصل الاجتماعي؛ ومن خلاله توصلت لمقر عملها واتجهت إليه بالفعل.

كانـت قلقة ألا تجد أحـد هناك؛ لأنها تعلم أن فـرح تركت العمل، ولكن حـين وصلت للمكتب وجـدت السكرتـيرة بالداخل، وبعد عـدة استفسارات مـن نورسـين للسكرتـيرة أدركت أن ذلـك المكتب يعمل به ثلاثـة أشخاص

غـير فـرح في نفس المجال بتخصصـات مختلفة، طلبت مـن السكرتيرة أن تزودهـا بمعلومات حول الأشخاص الذين تعاملوا مع فرح قبل تركها للعمل، ولكنها رفضت معللة أنها من خصوصيات العمل، لكن في تلك اللحظة تَدَّخل أحـد الرجال، ومن طريقته في الحديث علمـت نورسين أنه أحد العاملين في المكتـب، فتساءل عمّا يحدث، وبعد أن علِم سأل نورسين عن السبب فتنهدت ثم قالت:

- كنت محتاجاها في حاجة.. على كل حال شكرًا

استدارت؛ لترحل، فأوقفها ذلك الرجل قائلاً:

- أنا ممكن أساعدك.. بس لو عرفت غرضك من الموضوع!

وافقـت أن تُخبره بعدما علمت أنه أحد أصدقاء فرح المقربين، شرط أن يبقى الأمـر بينهما، وبالفعل وافق على إعطائهـا بيانات المشتركين في دورة فرح قبل استقالتها.

****

عادت نورسين لمنزلها، وعلامات الرضا تجتاح ملامحها؛ لشعورها أنها ستنجـح في تغيير شئ مـا، علّ ذلك الشعـور ينتقل لمن حولهـا، فينقلوه لمن حولهم وتظل الدائرة مستمرة. إن أردت التغيير فابدأ بنفسك.

غـيّرت ثيابها وبـدأت بمشاهدة مقاطـع الفيديو الخاصة بـ رحيم التي أعطاهـا لها علي، وقد تفاجأت مـن براعته في الغناء والعزف على الجيتار، ورأت كذلك مقطع عبارة عن مجموعة من صور لوحات قام برسمها مُجمَعة علـى شكل مقطع فيديو، وكيف لموهبتـه أن تُفنى وقد كادت اللوحة أن تنطق

راغبة في الانطلاق أمام الملأ؛ مُعلنة عن وجود عالم آخر خفي بداخل روحه الصامتة!

قامـت نورسين بجمع المقطعين معًا ليشكلا مقطع واحد، وفي الوقت ذاته قامت بعرض الرسومات لبعض زملائها الجامعيين بشكل شخصي، وفور أن وصلتها ردودهم المليئة بالإعجاب والتشجيع قامت بتصوير الشاشة وضمّت الصـور إلى المقطع، وما أن انتهت حتى ذهبت لنافذة استخراج الفلاش من جهازهـا، ولكن شئ ما منعها من ذلك، وجـدت بداخل الفلاش ملف باسم dreaming control لم تستطِـع منـع فضولهـا؛ ففتحت الملف، وجدت حينهـا العديد من الأبحاث المتعلقة بالعديد من المصطلحات الطبية ولسببٍ مـا أثار ذلك الملف دهشتها، لـذا أسرعت في الاتصال بـ علي، وما أن جاوب حتى تساءلت قائلة:

– دكتـور علـي أنا كنت بتفرج علـى الفيديوهات بتاعـت رحيم، وشوفت file في الفلاشة اسمه dreaming control وأعتقد إن حضرتك نقلته بالغلط.. مش كده؟

في تلك اللحظة سيطر القلق عليه، واجتاح التوتر مخارج أحرفه؛ فلا تكاد تفهم ما يقول، حاول علي الحد من توتره؛ فتنفس بهدوء وأردف بثبات مصطنع:

– اه ده بحث كان مطلوب مني أيام الكلية وكده

ازدادت ريبة نورسين تجاه حديثه وقالت مُتسائلة بلُؤم:

– مش غريب إن حضرتك لسة محتفظ بيه؟

– أجابهـا مستهـزءًا بسؤالهـا: طِب مشـ لعبة، وكل كلمـة بنكتبها أثناء الدراسة، هنحتاجها بعدها

– قالت مستنكرة: أفهم من كده إن حضرتك اللي كتبت كل كلمة فيه؟

غلب توتر علي هدوءه المصطنع هذه المرة، فقال متحججًا:

– معلش يا نورسين عندي جلسات كتير النهارده ومضطر أقفل معاكي

لم ينتظر لسماع إجابتها وكان قد أغلق بالفعل.. أسند ظهره إلى الكرسي وأخذ نفس عميق وكأنه كان في سباق كتم النفس لساعات متواصلة. استدار بكُرسيّه؛ وأمعن النظر لتلك اللوحة، وأخذ يُفكر مالذي يجدر به أن يفعل؟

كعادته أخرج دفتره وبدأ بالكتابة:

مـاذا بعد؟، ما الذي سيحدث الآن؟!، تُرى كيف ستكون نهاية الطريق؟، بـل إن السؤال الأهـم.. هل للطريق نهاية؟، أم أني صـرت حبيس دوامة لن تنتهـي إلا بتدمـير حياتي!.. أهـذه إشارة مـن الله أن أتوقـف وأعترف لها بالحقيقـة.. فلا يوجد تفسـير آخر غيره.. لقد وصل البحـث يدها وأنا من أوصلـه دون أدنـى قصد منـي.. أتظن حقًـا أنها دون قصـد؟، أم أن عقلي الباطن تمكن مني؛ لاعتراضه على ما يفعله جسدي بموافقه عقلي؟

في تلـك اللحظة اقتحم أحدهم المكتب فجأةً، فقـام علي بتخبئة الدفتر واستـدار؛ لتصبح وضعية الكرسي مقابـل لباب المكتب، فوجد محمد أمامه ويبدو أنه قد رآه وهو يخبئ دفتره بالفعل.

نظر للون علي الباهت، وملامحه التي لا تدل أبدًا أنه سعيد بقدومه، وقال:

– بقى بالذمة مش عيب!، دكتور نفسي عنده مشاكل نفسية؟

– بدأ علي يُهدئ من روع ذاته، ثم قال: فاكر أول كلمة قالها لنا الدكتور يـا محمد؟، ×لم يجد منه رد× أفكّرك أنا، قال لنـا: أول قاعدة عشان تكون

طبيب نفسي، تصدق إن كلنا مرضى نفسيين، شكلك مكنتش بتذاكر وعدّيت بالكوسة

– نظر له مستهزئًا: بتواسي نفسك بـ إيه يا دكتور؟!

– بقولك إيه يا محمد، ما تريّح نفسك وتجيب من الآخر، جاي هنا ليه؟

– جـاي أسأل عن نورسين.. المعجزة اللي خلّتك تقلب عليا وعلى هدفنا، هي والـ ههه التيم بتاعها!

– كظـم علـي غضبـه، وابتسم بهـدوء: كل العصبية اللي إنـت فيها دي عشان وافقت أعمل التيم؟!

– قـال وقد فلتت أعصابه وعَلا صوته: العصبية اللي أنا فيها دي عشان إنت عارف كويس خطورة إن المرضى يعرفوا اللي عملناه مع نورسين

–كان هاتف محمد يرن في تلك الأثناء ولكن صوت صراخه المرتفع، منع ظهور صوت الهاتف–

– وطّـي صوتك بدل ما تفضحنا كلنـا.. وبعدين إنت قلقان من إيه؟، أنا اللي معرفهم على نورسين وأكيد مجبتلهومش سيرة

– يـا ابني هو إنـت بجد بالغباء ده!، المفروض أنـا أطمن كده؟، نورسين بتطلب من الناس يكونوا صريحين عشان يحلّوا مشاكل بعض ويبقوا صحاب، عـارف ده معنـاه إيه؟، أقولـك أنا.. معنـاه إنها مسيرها تقـول لهم السبب الحقيقي اللي خلاها تفكر في الفكرة دي، شئت أم أبيت كلهم هيعرفوا كلها مسألة وقت، ولو إنت عندك استعداد تخسر وظيفتك فأنا معنديش

– خفض علي رأسه قائلاً: وعشان كده بفكر أقول لها

– علَا صوتـه مجددًا: إنت شارب حاجة يـ... –قاطعه صوت اتصال من

هاتفه مجددًا، كان ينوي تجاهله مثلما فعل منذ قليل، لكن ليس بعد أن رأى اسم المتصل-

تغيرت ملامحه سريعًا و ذهب خارج المكتب دون قول كلمة، كان فعل غير مُبرر لـ علي، ولكنه لم يكترث طالما خلّصه من ضوضاء محمد.

****

خرج محمد من العيادة بأكملها وأجاب المتصل قائلاً:

- أيوة

- تحدثت بصوتها الأنثوي قائلة: كلمتك كتير مردتش

- معلش كنت بعمل حوار كده. اتصلتي ليه يا نورسين؟

- .....

(14)
خيوطٍ من شـَوْك

إن أردت حياكة ثوب؛ عليك بتجهيز الخيوط، وإن كانت مُتشابكة بعضها البعض، ستقوم بفكّها.. لكن ماذا إذا كانت الخيوط مليئة بالأشواك.. كلما حاولت لمسها؛ زادتك جروحًا!

هـل ستـترك الخيـط، وتتنازل عـن ثوبك الجديـد؟، أم أنـك ستستمر وتُعرِض يدك للتهلكة؟

عزيـزي القـارئ: أعلم أن العديـد من التساؤلات تـدور في ذهنك الآن، وكمـا أعلـم ذلك، فعلي أن أُعلِمـك أن القادم ليس بهـيّن.. ولكن في النهاية أنت سيد القرار، إما أن تُكمل القراءة مهما تفاجأت، أو أن تتوقف هنا، لكن عليك معرفة أن الاستمرار هو مفتاح أسئلتك.

مهمـا فكرت نورسين في حديث علـي لا تجده مقنع على الإطلاق، ومهما حاولـت ربط الخيوط، تؤول جميـع محاولاتها بالفشل، لذا لم يتبقَ لها سوى خيار واحد، أخرجت هاتفها وبحثت عن رقمه حتى وجدته واتصلت به.. فلم تلقَ ردًا، كانت ترغب ألا تتصل مجددًا ولكن فضولها أقوى من أي رغبة؛ لذا عـاودت الإتصـال وعلى الرغم من طـول انتظارها إلا أنهـا لقَت إجابة منه هذه المرة:

- أيوة

- كلمتك كتير مردتش

- معلش كنت بعمل حوار كده. اتصلتي ليه يا نورسين؟

- تعرف دكتور اسمه علي مسعود؟

- بتسألي ليه؟!

- ابتسمـت: أنا كده عرفت الجواب، متشكرة جـدًا، اه بالمناسبة، دوري جاي امتى؟

- ضحك بلؤم: قريب، قريب أوي يا نورسين

بـادر هو بإنهاء المكالمة.. لم تكُن تعلم أنها ستُجيد تأدية دور الغافلة عمّا يحـدث حولها جيدًا لتلك الدرجـة، ولم تكُن تعلم أنهم جهلـة لهذه الدرجة ليصدقـوا ادعائهـا!، فعلـى الرغم مـن جهلها ببعضـ التفاصيـل، إلا أنها أصبحـت متيّقنة أكثر من ذي قبـل أن علي هو أحد المشاركين بتلك التجربة بطريقـة ما، هو أيضًا لا يُفكر سوى في ذاتـه تمامًا كالجميع، والجميع كلمة تشمل نورسين.

جلست على الكرسي الموجود أمام مكتبها وعادت بذاكرتها لذلك اليوم، الذي قابلت فيه محمد.

Flashback: - استرجاع للأحداث

اللقاء الأول:

كانـت تجلس في أحد المقاهي تنظر حولها بشغف؛ مُنتظرة وصوله، حتى جاء وألقى التحية ثم جلس:

- آسف اتأخرت عليكي

- لا أبدًا، أنا اللي جيت بدري.. مدّت يدها بـ فلاش ده البحث اللي قولت لحضرتك عليه

– تمـام، أنـا شُفـت الجزء اللـي بعتيه ليـا وحقيقي مقدرتش ماجيش وأشوفك.. بس بحث زي ده ليه بتديهوني؟

– أنـا مش محتاجة البحث دلوقتي، أنا محتجـاه بعد التنفيذ.. وأنا مش هعـرف أنفذه.. البحث محتـاج إمكانيات وخبرات وتجارب بعيدة تمامًا عن قُدرتـي، وعشان كده دوّرت على حد ممكـن يساعدني في ده، وملقتش أشهر مـن حضرتك.. د. محمد بسيوني الطبيـب النفسي اللي شغله كله في مجال الأبحاث وتطوير علم النفس وأساليبه.

– نظر لها بلُؤم وأخفض صوته: بس طبعًا إنتي عارفة إني مجرد ما هبدأ أشتغل عليه مش هيبقى بتاعك؟

– وأنا زي ما قولت لحضرتك مش عيزاه.. بس ده بشرط؟

– اعتدل في جلسته وقال: أعرفه؟

– أكون واحدة من اللي هيتنفذ عليهم التجربة وأضمن إن حضرتك مش هتستخدمه غير في مجال العلاج

– مفيش مشكلة، أنا بالفعـل هحتاج مجموعة مختلفة مـن الناس اللي هيتجرّب عليهم وأسجل استجابتهم.. بس ده طبعًا بعد ما أطّلِع على تفاصيل البحث، وأحدد آلية التنفيذ وإذا كانت مفيش فيها خطورة.. بالنسبة للجزء التاني إيه الضمان اللي يناسبك؟

– تمضـي لي علـى ورقة إن في حال خالفـت اتفاقنا، يُعتـبر الاتفاق كله لاغـي في مقابل إمضتي بتنازل عن البحث أومأ بالموافقة الشرط التاني إني من حقي محكيش لحضرتك أي حاجة عن تجربتي.

- أيوة بس ليـ....

- قاطعتـه: ده من ضمن شرطي.. بمجرد ما توافق عليه، البحث هيبقى بتاعك تعمل فيه ما بدالك

- وأنا موافق، بس أنا عايز أفهم إيه اللي يخلي بنت تبحث في مجال بعيد تمامًا عن مجالها، بالشغف ده؟

- عشـان عايـزة البحث يتنفذ على ناس معينـة، عيزاهم يمرّوا بمأساة غيرهم بتفاصيلها، يمكن حاجة تتغير.

- ومين قالك إنهم هيجربوا حاجة زي دي أصلاً؟

- القدر.. مسيرهم هيجربوها يا دكتور

اللقاء التاني:

- جاهزة عشان نمضي العقود؟

- لو مش جاهزة مكنتش جيت

قاطعهمـا صـوت هاتفه فاعتذر منهـا وابتعد قليلاً عـن طاولتهما ولكن حماسـه في الحديـث جعـل صوته مرتفـع؛ فمكّنهـا من سماعه وهـو يقول: يـاااه دكتور علي مسعود بنفسـه!.. لازم أكلمك مية مرة عشان ترد يعني؟.. هههههه حبيبي، كنت عايزك في حوار كده هينقلنا لـ حتة تانية.. التفاصيل لمـا أشوفك.. بص أنا همضـي حاليًا على ورق له علاقـة بالموضوع هخلص وأعدّي عليك.. يعني إديني ساعة، ساعة ونص.

فتحت والدتها الباب؛ فانتشلتها من ذكرياتها، قائلة:

- الأمور ماشية كويس؟

– أومأت برأسها ثم قالت: الحمد لله، بحاول أعمل كل حاجة تخلّي الكُل يصدق.. ماما هو أنا وحشة؟

– ضحكـت حنـان بشـدة ثـم أردفـت: إنتي بتحـاولي تحلّـي الوحش يا نورسـين!، أنا بس اللي طلباه منـك متجيش على نفسك، حتى لو منجحتيش كفاية إنك حاولتي.

– ابتسمـت: أبقى بستسلم، وأنا مقتنعة إن دوري في الحياة دي عمره ما هيكون الاستسلام

× × ×

دخلـت سكرتيرة علـي؛ لتخبره أن رحيـم بالخارج وقد حانـت جلسته؛ فسمـح لها بإدخاله ثـم أوقفها؛ يعاتبهـا على سماحها بدخـول محمد دون إذن مُسبق منه، محذرًا إياها من تكرار ما حدث، ثم طلب منها الانصراف والسمـاح لـ رحيم بالدخـول، فاستقبله علي بترحابٍ لا يخلـو من الإنزعاج قائلاً:

– اقعـد يا رحيم اتفضل.. تشرب إيه؟، ولا أقولك أنا زهقت من المكتب، تعالى هنروح كافيه

– طب إديني فرصة أقول رأيي!

– اعتبره أمر من الدكتور بتاعك

خرجا من المكتب، بعد أن تأكد علي أن رحيم هو آخر مريض لديه اليوم، ثم اتجه إلى مطعم يعرفه جيدًا وكان كليهما يشعران بالجوع ؛ لذا طلب علي وجبتين لهما مع المشروبات ثم عاد ليجلس:

- قولي بقى إيه رأيك في فكرة الـ team؟

- أجاب بعدم اكتراث: عادي.. زي ما توقعت

- يعني معجبكش برضه؟

- مش حـوار معجبنيش قد ما الموضوع محسـوم بالنسبة لي، أنا عارف نفسي وفاهم إنت و... هي كان اسمها إيه؟

- هي مين؟ ×فكّر قليلاً× قصدك نورسين

- اه هـي.. فاهم قصدكوا كويس، يعني الجيتار، أدوات الرسم.. القعدة نفسها، كل حاجة مبتذلة أوي

- قال علي معترضًا: طب والله الموضوع عجبك، بس مكسوف تقول

- وهتكسف ليه يعني؟، دكتور علي إنت عارف إني بعتبرك أخويا، وأكتر واحد فاهمني

- وعشـان كده بقول إن الموضوع عجبك، صارح نفسك يا رحيم متبقاش قِفـل يا جدع.. إنت عارف كويس إنك فرحت لمـا شوفت الجيتار والذكريات الحلـوة كلهـا رجعت تـاني، بس مش قادر تقبـل فكرة إن كَـمّ الاكتئاب اللي جواك ممكن حاجة تذوبه..

- يمكـن يكـون كلامك صح، بس أنـا برضه لسة مش مستعد أرجع زي الأول تاني

- ومـين قالك ترجـع؟، هو سحر يا ابني من أول مـرة عقدتك هتتفك!، فاكر نفسك قاعد مع الشيخة خديجة المغربية!، بس أدينا بنحاول..

- صحيح تتوقع مين اللي كتبت لي عايزة أسمعك بتغني؟!

- مش عارف.. ×أخذ وقتًا يُفكر× لأ عارف، نورسين

- جحظت عيناه: مين؟

- أصل هي الوحيدة اللي عارفة حكايتك، هيكون مين غيرها

"نظر رحيم بعيدًا وابتسم بخجل لا يليق بلحيته"

- إيه يا ابني، سرحت في إيه؟

- أجـاب بارتبـاك: ولا حاجة، قولي صح كان شكلـك متعصب النهارده وسمعتك بتزعق مع علياء، في حاجة؟

- على فكرة إنت اللي المفروض تحكي مش أنا

- اعتبر الجلسة دي مش محسوبة، ها إيه اللي حصل؟

- حوار فاكس كده، بعيدًا عن التفاصيل الموضوع له علاقة بـ نورسين

- نورسين؟، مش ملاحظ إن اسمها اتكرر كتير في القعدة دي!

- لأ ملاحظ، فيها حاجة غريبة يا أخي، تحسها هادية بس هدوء ما قبل العاصفة فاهمني؟

- أكيد مش فاهم.. بس مش موضوعنا، إيه اللي يخلّيها سبب عصبيتك؟

- لا هـي مش سبب مباشـر، في رابط بينّا لـو هي عرفته علـى الأغلب هتضايق وأنا مش عايز ده يحصل

- عقد حاجبيه وهو يقول: ولو حصل يعني.. ده يفرق معاك في إيه؟

- مش عارف برضه ×تنهـد× ممكن نقول إني بحب شخصيتها وروحها ومش عايـز حاجة تأثر عليهم بسببـي -وأضاف محدثًا نفسـه: كفاية اللي حصل لها بالفعل-

– تغـيّرت ملامح رحيم فورًا وقال بغضب: إيـه اللي عاجبك فيها؟، هي دي تعجب حد أصلاً!

– ضحك علـي مستهزءًا بانفعاله: براحة يا ابني في إيه!، وبعدين البنت حلـوة يعني مالك مصدوم كـده ليه؟.. عجبني إصرارهـا وشخصيتها على بعضها.

جاء النادل و وضع الطعام

– مش مصدوم أنا عادي أهو

– ده منظر واحد عادي؟

– بقولك إيه كُل وإنت ساكت وخلاص

****

قررت نورسين أن تُكمل ما بدأت لأجله، وتتجاهل أي مشاعر سلبية يمكن أن تشـكل عائقًـا في طريقها، ستعمل جاهدة علـى مساعدة فريقها، حتى لا تتكـرر المأساة التي شاهدتها مع ضحايا جـدد، وحينئذٍ ستتمكن من العثور علـى ذاتها.. آملة أن تنجح بنجاحهم، لربما يكون العالم بانتظارها ليصبح أفضل، ولما لا؟

التغيـير بحاجة إلى خطوة.. فقط خطوة قـادرة على إحداث المعجزات، وأما الخطوة فهي بحاجة إلى دفعة، وتلك الدفعة لا تأتي إلا بعد السقوط.

(15)
وهل لأعمى أن يتوقف عن السير لأن الإشارة حمراء!

الحيـاة ما هي إلا فيلم قصير، ولكلاً منّـا دوره، وصاحب الحظ هو من يُـدرك ماهية دوره والوقـت المناسب لتأديته، ويتصرف علـى أساسه، حتى تحـين النهاية فيُحاسب كل شخص على الـدور الذي اختاره.. أجل فالأدوار في الحياة بعكس السينما أنت من تختار دورك وليس المخرج، لذا فور أن تجد دورك المثـالي والصحيح سِر فيه دون توقف، وإن قابلتك المُلهيات والمغريات فتصرف كما الأعمى، ولا تراها، حتى وإن سقطتْ؛ فإن السقوط الذي يتبعه إستقامة، خير من إستقامة يتبعها إعوجاج.

بعـد عدة لقـاءات تم عقدهـا بينهـم، اجتمعوا فيهـا وتبادلـوا أطراف الحديـث، ركـزت نورسين علـى شخصياتهـم؛ لتتمكن مـن التفكير في حل يناسبهم وعلى الرغم من كم المحاولات الطائلة والمجهود الهائل الذي بذلته إلا أنهـا في النهاية تمكنت من تحقيق ما سعَت إليه بمساعدة علي، مُتجاهلة ما لاقته من البعض من رفض أوسخرية أو حتى لامبالاة.

مـرّ أسبوع علـى نورسين كالـبرق؛ انشغلت في التواصل مـع عملاء فرح قبـل استقالتها، وطلبـت منهم تسجيـل مقاطع مرئية لهـم؛ ليخبروها عن التغيـير الذي أحدثتـه في حياتهم بفضل الله، وقامت بإعـداد مقطع يشمل الجميـع، وفي الوقـت ذاته كانت تبحـث في مواقع التواصـل الإجتماعي على

بعضـ الحسابات المؤيدة لـ يوسف وتمكنت من الوصول لإحدى الفتيات التي عرفهـا يوسف يومًـا، وتواصلت معها، وبعدما شرحت لهـا نورسين غرضها من محادثتها، أخبرتها الفتاة بأنها لا تُمانع أن تخبر العامة بكذب صديقه، وصدق يوسف.. ومنها تمكنت من معرفة هوية الفتاة التي أحبها وبعد بحث طويل استطاعت العثور على حسابها الشخصي ولكن مما رأته، فتلك الفتاة لم تعـد تكـترث لأمر يوسف؛ فقـد تزوجت ويبدو أنها سعيـدة وراضية، هنا شعـرت نورسين بالعجز، فكيف ستُصـارح يوسف بحقيقة الأمر، أو ربما هو على دراية بزواجها..

فتحت ندى -أخت نورسين- باب غرفتها تُخبرها بأن تستعد؛ كي يذهبن لإنتقاء بعضـ الأنتيكات؛ ليكتمل ديكور منزلهـا، ورافقتهم في ذلك "وَنس" فقـد اقتربـت من نورسين كثـيرًا الفـترة السابقة، وهي التـي ساعدتهم في العثور علـى محلات الأنتيـكات والستائـر والعديد مـن التفاصيل الخاصة بتجهيز المنازل؛ بسبب تجربتها مع قريبة لها.

بعد أن تقابلن أمام المحل المقصود، وعرَّفتهم نورسين على بعضهن ألفت نـدى بعض عبارات الامتنـان على مسامع وَنس؛ لمجودهـا ومساعدتها لهم، وبعـد ذلك دخلوا المحـل فانشغلت نـدى بمشاهدة الأنتيـكات، حينها مالت نورسين على أذن وَنس قائلة:

- برضه لبستي النقاب؟

- مش بحب نظراتهم ليا يا نور

- تولع نظراتهم.. نسيتي كلام يوسف؟، نادتهم ندى؛ لمشاورتهم شوية و

ياسين هيعدّي ياخد ندى عشان يعملوا كام حاجة في الشقة، وقتها هنتكلم كتير..

بعد ساعات من "اللّف" على الأسواق، تمكنوا من العثور على ما يناسب ديكـور شقتها؛ بناءً علـى ذوقها، وبعد ذلك أتى ياسـين وأخذ ندى، وذهبت وَنس برفقة نورسين ليتناولن مشروب ويتحدثن معًا:

- ها بقى لسة مش مقتنعة بكلامي؟

- مشـ عارفـة يا نور، أنا مقتنعـة طول ما هو كلام.. بسـ وقت التنفيذ مش بقدر

- ممكن أسألك سؤال؟، ×أومأت وَنس بالموافقة× ليه بتداري في النقاب، مش بتداري العلامات بميك أب مثلاً؟!

- مش عايزة أحس إني بخدع حد.. ولا حتى نفسي، أنا بس عايزة أتجنب أي نظرة ممكن تجرحني

- أخفضت رأسها وقالت: فهمتك.. مش ناوية تحكي لي موضوع يوسف

- عايزة تعرفي؟

- جدًا!!!!

- عرفتـه من السوشيال ميديـا، وكنت بحب الفيديوهـات بتاعته جدًا، بيعرف يتكلم، لأ ويقنعك برأيه.. بحسه واقعي أوي، بيفتح الكاميرا ويتكلم، مشـ مهم بقى لابس شيـك ولا لأ، مسرح شعره ولا منكوشـ.. على طبيعته، حتى لما حد بينتقده كان بيرد عليه ردود محترمة تكسفه، كنت بحب أتابعه.. لحـد ما عرفت أنـه أصلاً مرتبط، وقتها حسيت بغـيرة. هتسألليني بصفتي مين؟، هقولك معرفش، لأني فعلاً معرفش

نظرت لها نورسين بأسفل عينيها وهي تُخفض رأسها، فأكملت وَنس:

– عارفـة وبستعبط.. كنت حاسة بمشاعر ناحيته، روحت عملت له بلوك وقللّـت كلامـي مع صحابي اللـي متابعينه عشـان سيرته متجيش قدامي، مكنتش عايـزة أحب واحد مرتبط.. مش حابة أكـون طرف تالت في علاقة مكونة من طرفين!

– نظرت نورسين بسعادة بالغة وقالت: ونس.. اتحلّت

– هي إيه دي اللي اتحلّت؟

– يوسف انفصل عنها خلاص

– تنهدت: بس لسة بيحبها، ومسيرهم يرجعوا

– لأ هي نسيته واتجوزت

– إيه؟، بتتكلمي بجد! ×هدأت من صدمتها× حتى لو هي اتجوزت هتفرق في إيه؟!

– تجاهلت ما قالته: إنتي علاج يوسف.. إنتي الوحيدة اللي نظرتك له متغيرتش!

– أنا مش فاهمة حاجة..

– يلا نروّح دلوقتي وهفهمك في السكّة

وبالفعـل أخبرتها نورسين بمـا تُفكر فيه وطلبـت مساعدتها، ولم تتردد وَنسـ في الموافقـة، ومـا أن وصلت نورسـين منزلها حتى تواصلـت مع علي؛ لتخـبره ما تنوي فعله، وقد لاقـت منه تشجيع، فقامـت بتحديد لقاء جديد لهم في اليوم التالي بعدما تأكدت أنه يناسب الجميع.

****

في اليوم التالي، استيقظت نورسين وبـدأت بالاستعداد لمقابلتهم، كانت تشعـر بتوتر شديد من ردود أفعالهم، ولكنهـا لا ترغب في ضياع يومًا واحد وهـم في ذلك البؤس، وينطبق الحال عليها. وصلـت لموقعهم فلم تجد سوى يوسف وعلي بالداخل، ألقت التحية ودخلت:

– قالت نورسين بحرج: الحمد لله إن علي وصل معاك، عشان متستناش في الشارع

نهض يوسف من على كرسيه وقال موجهًا حديثه لـ علي:

– يلا احنا بقى

– أجابه علي بتساؤل: يلا على فين؟

– عطشان أوي، تعالى نجيب مياه

– ما في مياه هنا يا ابني

– شـوف سبحـان الله جوعت فجأة، تعالى بس نجيـب حاجة ناكلها من الكشك اللي على ناصية الشارع ده

جرّه يوسف خارج المبنى، وما أن ابتعدا بمسافة كافية، حتى قال علي بانفعال:

– مش فاهم يعني، حبكت معاك تاكل دلوقتي؟

– مـا تفتـح دماغك يـا دوك.. مينفعش نبقى قاعديـن وهي موجودة في مكان مقفول، مش شايف كانت مُحرجة ازاي؟، وأكيد الوضع مكنش مريح ليها

– اااااااه مجتش على بالي دي

– مهـي لازم متجيش، إنـت بحُكـم شغلـك لازم تقعد مع بنـات و ولاد لواحدكم

– هههههـه طلعت بتفهـم يا يوسف، ×استغل علـي كونهما بمفردهما× بقولك صحيح في حوار كده عايز أكلمك فيه

– لا بقولك إيه احنا مش في جلسة دلوقتي

– يا سيدي اعتبر إنك بتدردش مع واحد صاحبك

– ماشي.. اتكلم

– لسة بتفكر فيها؟

– لم يفكّر وقال: اه بس مش عشان بحبها

– وَضّح؟

– يعنـي في الأول كنـت بفكـر فيها عشـان وحشاني.. زعـلان على اللي حصل لي وكان سبب نبعد، بس دلوقتي بقيت بفكر فيها عشان أثبت لنفسي إن خسارتها كانت لمصلحتي

– ليه بتقول كده؟

– هـي اختارت الطريق الأسهـل، مفكرتش حتى قد إيـه أنا محتاج لها، بالرغم من إنها عارفة الحقيقة ومن قبل ما نقرأ الفاتحة حكيت لها عن كل بنـت عرفتهـا، وربنا يشهد إني مفكرتش في غيرها وأنـا معاها ولا حتى بعد ما سيبتها..

– ولما الحكاية كده، ليه لسة الموضوع مأثر فيك؟

– عشـان حتى لـو نسيتها، صعب أنسى كسرة قلبي لمـا ملقيتهاش جنبي بسبب حاجة ما عادليش ذنب فيها، أنا مش زعلان عليها يا دكتور أنا زعلان علـى نفسي اللي اتخلت عنها ببساطة ومحاولتش حتى تعارض أبوها.. تنهد

مش معنى إني حبيتها إنها الاختيار الصح ليا، وبعدين هي اتجوزت وشافت حياتها، أبقى أهبل بقى لو وقفت حياتي عشانها لحظة واحدة!

- ده إيـه الـكلام الحلـو ده!، ×ضحـكا معًـا× تعـرف ربنـا ده لـه حِكم مبناخدش بالنا منها غير في الآخر.. هي ظهـرت في حياتك عشان تبعدك عن طريق حرام، والمشكلة دي حصلت لك عشان تثبت لك إنها مش مناسبة ليـك، فبالتالي هي ساعدتك تتغير للأحسن عشـان البنت اللي تستاهلك.. مـين كان يصدق إن يوسف يطلع يقعد في الشارع عشان ميبقاش مع بنت في مكان مقفول لواحدهم!

- أجابه يوسف ضاحكًا: شوف سبحان الله!

كُـن على إقتناع تام أن ما يجري في حياتـك ليس بمحض الصدفة، وأن الأحـداث البسيطةً ستكون ذا أثـرٍ عظيم يومًا ما، فمهما رأيتها تضيق إعلم أن الفرج قريب.. قالها الجميع وسنقولها مجددًا.

****

في تلـك الأثناء كانت تجلس نورسـين في الإستوديو الخاص بهم، وتعاتب وَنس في الهاتف؛ على تأخرها وتعرضها لموقف كهذا؛ فقد فهمت سبب خروج يوسـف برفقة علي متحججًا بالجوع، ولم تمُر دقائق حتى وصلت فرح ومعها رحيم، دخلوا وألقوا التحية على بعضهم البعض، ثم قالت نورسين متسائلة:

- إنتوا جايين مع بعض؟

- أجابتهـا فرح: لا اتقابلنـا على السلم، ×سكت الجميـع قليلاً صحيح، بقـالي كتير عايزة أعمـل search عن معنى إسمك وبنسـى.. قوليلي بقى معناه إيه؟

– قاطعهم رحيم متجاهلاً حديثهم: هو دكتور علي لسة مجاش؟

نظـرت الفتاتان لبعضهـن بتعجب من فعله، فأجابتـه نورسين أنه ذهب برفقـة يوسف ليشتريا شئ، نهضـ من على الكرسي متجهًـا للباب؛ ليلحق بهما، وقبل أن يخرج استدار لهن، وقال:

– نورسين يعني نور القمر ×ورحل×

ومع خروجه قابلته وَنس ولم تكُن ترتدي النقاب هذه المرة، فور أن دخلت المكتب قفزت نورسين من السعادة:

– أخيرًا سمعتي كلامي؟

– كنت محتاجة حد يشجعني، غير أهلي اللي غصب عنهم هيعملوا ده..

– قالت فرح: أنا فخورة بيكي أوي

وما الفخر في نـزع النقاب!، ربما يراودك ذلك السؤال الآن؛ كي أجيبك قائلـة: الفخر لا يكمُن في نزعه، بل هو نزع الساتر الذي وضعه أحدهم بينه وبين الحياة؛ خوفًا من مواجهتها.

– أجابتها وَنس: ربنا يخليكي.. شكرًا يا نورسين

في تلك اللحظة عاد الشباب من الخارج، وفور أن رأى يوسف، وَنس حتى نظر لهـا بسعادة تبعتها حزن، لم تفهم وَنس سببـه. وبعد أن هدأ الجميع.. بدأت نورسين تنفيذ خطتها التي سعت لها مُطولًا:

– كنـت بقول لنفسـي إن لسة بدري على الخطـوة دي، ولازم ناخد وقت أكتر، وفي نفس اللحظة رديت على نفسي إن مينفعش نضيّع يوم واحد كمان في الحـزن أو الخـوف أو الكسرة.. اللي باقي مش كتـير عشان نستغنى عنه

بنفسـ راضية.. اللـي هيتعرض قدامكـم ده حصل بمساعـدة دكتور علي، هنبـدأ مع كوتش فـرح، اللي بتقول إنها بتئذي اللـي حواليها.. الحقيقة إني تواصلت مع اللي حواليها دول و وَصلني كلام غير ده!

ثـم قامت بتشغيل العرض على الشاشة وكان عبارة عن مقاطع لمجموعة مـن الشباب كلاً منهـم يتحدث عن تجربته في التعامل مـع فرح، واستمرت المقاطـع في التنقـل مـن شُكر موجـه لهـا وآخر اشتيـاق ومرة عتـاب على اعتزالهـا.. وفي نهاية المقطع ظهرت إمرأة كبـيرة في السن يبدو أن أحدهم يقـوم بتصويرها، فبدأت حديثها قائلة: شغلتـي الكاميرا يا سهيلة؟، طيب، مـن قيمة كام يوم جاتلي بنـت ذوق أوي واتكلمت معايا وقالت لي إن في بنت حياتهـا وقفت بعد حادثة ابني، قال إيه بتقول إنها السبب!، في الأول عيطت عشـان افتكرت اللي حصل لـ ابني، بس بعدها اتعصبت ودمي فار، هو يعني البت دي عيلة عشان تقول إنها السبب!، ما كله مكتوب عند اللي خلقنا، أنا آه قلبي واجعني على ضنايا بس عارفة إن ده نصيب وعارفة إن اللي ربنا كاتبه هيحصل بأي شكل.. ابني حقه هيرجع مهو أصل ربنا اسمه العدل!، البنوتة الجميلة اللي جت لي قالت لي إن ممكن كلامي يساعد البنت تتحسن، قولت ومالـه؟، ولو في إيدي أساعد أتأخر ليه؟، أوعي يا بنتي تفتكري إني بكرهك أو حاقـدة عليكي، أبدًا والله.. ربنـا يعلم إني راضية بقضاه وعندي يقين إن ربنا هيشفيه ويعوضه خير باذن الله.

انتهـى المقطع، وبـدأت دموع فـرح بالانهمار كمـا لو لمْ تبكـي من قبل، عانقتهـا وَنس وربتت علـى ظهرها برفـق، كان المقطـع كافي لجعل الجميع

يتأثـرون، وعلـى الرغم من أنها ليسـت المرة الأولى التـي تشاهده نورسين، ولكنها أيضًا لم تتمكن من حبس دموعها.

بعد عدة دقائق هدأ فيها الجميع، أكملت نورسين:

- شكلنـا هنعيط كتـير النهارده، نكمل مع تاني شخصـ: رحيم.. دايمًا بنشـوف ناس موهوبـين في حاجات وبيحاولـوا يشهـروا موهبتهم، لكن دي كانت المرة الأولى اللي أشوف شخص ناجح بيدفن موهبته!

قامـت بتشغيل الفيديو، الذي ظهر فيه رحيم يعزف ويُغني، وآخر يحاول رسـم والدتـه، وآخرهم يلهـو مع عائلتـه. كان الجميع يشاهـد المقطع وهم مذهولـون فكيف لذلـك الشاب الذي قلّمـا يتحدث أن يكـون بذلك الشغَب والحركـة!، وبعـد ذلك بـدأت نورسين بعرض صـور تشمـل آراء البعض في صوته ورسمه كانت كلمات كثيرة جميعها تؤول لمعنى واحد ×استمر× وتراقب تعابـير رحيـم أثناء قراءته لآرائهـم؛ رأت في عينيه غضبًـا أخافها، وجدته ينهض ليرحـل فشغّلت سريعًا مقطع آخر لرجل كان صوته قادر على إيقاف رحيم وجذبه ليُكمل المقطع، بدأ الرجل حديثه: رحيم، ابني الكبير.. غلطت في حـق حلمك زمان ولسة بدفع تمـن الغلطة دي لحد دلوقتي، مكنتش فاكر إن الغُنـا يعنيلك لدرجة كبيرة، كنت شايفـه مضيعة وقت.. كنت غلط، بس إنـت برضـه غلطت!، محاولتش تقنعنـي برأيك واخـترت العِند والخصام، ولمـا مجبش نتيجة لجأت للانتحار!، عارف إنك كنت بتمر بفترة صعبة مش علـى قد عِناد مع أهلك، بس كان ممكن نتجاوز الفترة دي من البداية بإننا نتكلـم.. إنت متعرفش قد إيه محـاولات انتحارك كانـت بتكسرنا، الحياة

مـن غيرك يا ابني مش حياة!، لو شايـف إن راحتك في موتك تبقى غلطان، غلطـان في حق ربك ودينك ونفسك وأهلك.. أهلك اللي إنت عندهم بالدنيا كلهـا، ومع ذلك بشكرك إنـك لسة حي وشايفها إشارة مـن ربنا إن لسة في أمـل نصلّح اللـي اتكسر زمان.. وحشني صوتك وإنـت بتغني سيرة الحب.. هستناك نغنيها أنا وإنت!

انتهـى الفيديـو وبقي الجميع صامتون، حتى كسـر صمتهم صوت رحيم الغاضب وهو يقول:

– إنتـي مين سمح لـك تعرضي فيديو زي ده؟، ومـين أصلاً إداكي الحق تكلمي أبويا!

– قاطعه علي: أنا اللي كلمته وطلبت منه يصوّر الفيديو، نور مغلطتش

– صـح أنا اللـي غلطت إني قبلت آجـي المكان ده، نظـر لنورسين بحنق شديد أتمنى تكوني مبسوطة

وخـرج بغضب يكفي بلدة محتلة بأكملها، توتـر الجو؛ فأشار لها علي أن تكمل كأن لم يحدث شئ حاولت نورسين تجاهل ما حدث، والبدء من جديد لكن يوسف قاطعها معترضًا:

– المفروض إننا هنا صحاب، وتجاهل رحيم مش بيدل على ده إطلاقًا!

– أجابـه علي: احنا مش بنتجاهله، أنا عارف رحيم كويس واللي حصل ده لصالحـه ومش هيضره، ولو أنا شايف إن وجودنا هيحسن حاجة مكنتش قولـت لها تكمـل.. لأني عارف كويـس أوي إن رحيـم في اللحظة دي محتاج يبقى لواحده، كملي يا نور

- أنا من رأي ننهي القعدة على كده، واضح إن الكل مشدود

- ردّ بغضب: كملي يا نور..

- تنهدت ثم قالت: يوسف، الشخص الوحيد هنا اللي بيعاني من مشكلة ملهاش حل؛ لأنها مش فيه، هـي في الناس، اللي لو قعدنا العمر كله نحاول، برضه مش هنغيرهم.. الحقيقة مش هنحتاج عُمُر ولا حاجة.

قامـت بتشغيـل مقطع للفتاة التـي قابلتها ×إحدى الفتيـات التي عرفها يوسـف سابقًا×، كان الفيديو مأخوذ من بـث مباشر على الفيسبوك، قامت فيه الفتاة بإثبات كَذِب ما انتشر عن يوسف، حيث عرضت صور محادثاتها مـع صديقُه الـذي أرسل لها "هو يستاهل أنه يتفهم غلـط.. عمل فيها شيخ ونسي ماضيه الأسـود وفاكر نفسه تاب، خليه يتحمل" ووضحّت لهم تواريخ التقاط صوره مع الفتيات وكانت جميعها تواريخ قديمة، ومن بعد ذلك البث ظهر ×هاشتاج× على جميع مواقع التواصل الإجتماعي يُطالب بعودة يوسف مرة أخـرى، وبعده قامت نورسـين بعرض مجموعة مـن صفحات المعجبين التـي تحمل اسمه، والتي لاتزال تدعمـه وترجو عودته.. وبعد انتهاء الفيديو قالت نورسين:

- النـاس اللـي كرهـوك بسبـب غلطـة عملتها زمـان، رجعـوا يحبوك ومستنيينـك.. والبنت اللي إنت زعلت علـى فراقها اتجوزت ومبسوطة، وأنا عندي يقين إنك على عِلم بـ ده، الناس فترات يا يوسف وكون إنك عرفت ده يبقى متتأثرش بوجودهم أو غيابهم مش تمنع التواصل معاهم تمامًا!

- أجابهـا يوسف: يمكن تكوني صح، ومقدّر جهودك وجهود دكتور علي،

بس أنا إيه اللي يخليني أقرب من حد أنا عارف أنه هيمشي أيًا كان السبب؟

– رد علـي بابتسامة: لأن هـي دي طبيعة الحياة.. ربنا لما خلَق آدم، خلق له حواء عشان الحياة تستمر!

قاطعتهم وَنس، و وقفت بقُرب نورسين، ثم بدأت الحديث قائلة:

– كل اللـي هنـا واجهوا مشاكلهـم النهارده، لكن أنـا واجهتها قبلكم لما عرفـت نـور وبقينا صحاب في فترة قليلة، ويمكـن ده لأني كنت محتاجة حد جديـد يدخـل حياتي، مقدرش أقـول يدخل لأني كنت قافلـة الباب.. اممم ممكـن استبدلها بـ يخترق!، نورسين اخترقت حياتي، وصارحتني بالحقيقة اللي كل الناس بتحاول متبينهاش، قالت لي: آه إنتي مش طبيعية زينا.. إنتي مميـزة، وأنا دلوقتي صدقت ده، أنا مختلفـة عنكم وعُمر الاختلاف ما كان عيب، بالعكس ده ميزة.. مقدرش أقول إني مِش بتمنى إن البُقع دي تروح، بس لـو مراحتش مش هكرهها.. واسمحوا لي أعلّق على كلام يوسف، إنت قولت إنـك هتتجنب البشر عشان هما مش دايمين!، معاك حق هما مش بيدوموا، بـس بيساعدونا، كل شخص بيعـدّي جنبك في الشارع له أثر في حياتك لكن في الأغلب إنت مش هتاخد بالك.. نورسين ساعدتني أحب نفسي وقبل منها إنـت!، إنت مدومتش في حياتي، في الحقيقة إنت مدخلتش حياتي أصلاً بس سيبـت أثر بسيط فيها، لما بعدت عن السوشيال ميديا، اختفى.. وبمجرد ما نورسـين ظهرت رجعلـي تاني، البشر بيظهروا في حيـاة بعض عشان يكملوا اللـي قبلهـم سابوه ناقص، وزي مـا فيه ناس كتير رأيهـم اتغير فيك بسبب سوء تفاهم حصل، في ناس حواليك برضه فضلوا شايفينك بنفس صورتك الأولى ومفيش حاجة اتغيرت جواهم ليك!

– لا ثواني، أنا ساعدتك ازاي؟!

– شوفتـك في تجمع كنت عاملُـه واتجرأت وكلمتك، وكنـت الوحيد اللي يتكلم معايا من غـير ما عينه تفضل رايحة جاية على شكلي!، وقتها فهمت، أنا شكلي مش وحش، هما اللي عنيهم مش بتشوف الحلو.

– تدخل علي: الحقيقة يا شباب إن المكان ده عمل حاجة العلاج النفسي مقدرش يعملها ×نظر الجميع باهتمام× أثبـت إن العلاقات قوة، مهما بان العكـس.. زي ما في علاقـة بتهدّ، في علاقة بتبنـي.. ومفيش واحد هيفضل طول عمره يهد ولا يفضل طول عمره يبني. لازم يجرب الأولاني عشان يعمل التاني!

علـى الرغم من خـوف نورسين من مواجهتهـم، إلا أن اختيارها كان في محلّـه، فالجميـع لا يرغب في أن يُكمل حياته منطفـئ لكنه كان بانتظار من يذكره أنه يُضئ.

ألقـوا التحية على بعضهـم البعض؛ استعدادًا للرحيـل، فأوقف يوسف، وَنس طالبًا التحدث معها على انفراد:

– نعم

– شكرًا

– على إيه؟

– إنـك حسستيني إني مُفيد وإن رأيك فيـا متغيرش زيهم، وإنك قررتي تحبّي نفسك وتتجاهلي الناس

– أنا اللي بشكرك؛ إنك كنت أول واحد ميحسسنيش إن فيّا حاجة غلط

– ابتسـم وقـال: أكيـد هنتقابل تـاني.. التيـم ده بدايتـه الحقيقية من النهاردة، سلام

التفت ليرحل، فأوقفته ونس:

- يوسف، عاد لها مجددًا لما شوفتني النهارده، ليه حسيت إنك اتضايقت؟

- اتبسطت إنك قلعتي النقاب.. فزعلت

ختـم حوارهما بجملته الأخيرة ورحل، و ودّعت هـي الفتايات ثم سارت في طريقهـا. وبقـي علي يقـف مع نورسين وفـرح في الشارع وهـنّ ينتظران سائـق فرح، وفي تلك الأثناء شكرتهم فـرح على ما بذلوه من مجهود وطاقة لمساعدتهـم، ثم وصل السائـق الذي طلبته فرح، فعانقـت نورسين ورحلت. وبعدهـا استقلـت نورسين سيارة أجـرة، بعدما قابلَت عرض علـي أن يقلّها بالرفض.

يـوم مليء بالأحـداث، وكانت راضية عـن استجابتهم جميعًـا باستثناء رحيم.. الذي شعرت تجاهه أنها لم تساعده، بل زادت جرحه عمقًا.

❋❋❋❋

(16)
الجميع بحاجة إلى دَفْعَة

كانت فكرة نورسين كَطوْق نجاة بالنسبة للجميع.. باستثناء أحدهم.

عادت فرح لعملها، وكانـت محاضرتها الأولى عن خطورة لَوْم النفس أو ما يمسى بـ جلد الذات، وأما يوسف فبدأ العمل في مكتب محاماة وقرر عدم العـودة لبرامج التواصل الإجتماعي؛ ذلك العـالم الملئ بالخُبث الذي ينتقل لجسـد من ينضم له فيصبح أحدهـم، وبالنسبة لـ وَنس فقـد عادت لتُكمل دراستهـا، ولأصدقكم القول لازالت تتعرض لنظراتهم الجارحة ولكنها لم تعد تكترث بالقدر السابق، بل تعرفت على أشخاصٍ جُدد، كانت فترة تحوُّل في حيـاة الجميع، وعـن نورسين فقد عادت للدراسة بعـد انقطاعها؛ بسبب الحـادث، ولازال فكرها معلق بمـا تم تسجيله على هاتفها، فما كُتب لم يراه سواها، وهي لم تقوم بكتابته.. إذًا فمن الفاعل؟.

لازالـوا يجتمعوا سويًا بل وأكثر مـن السابق، كان الأمر غريب لنورسين لكنهـا أحبتـه.. فهنالـك أشخاص لا يحتاجـون منك سـوى أن تفتح قلبك؛ ليدخلوه ويستقروا هم فيه.

وأمـا عن رحيم فلم يعد على تواصل معهم منـذ اللقاء الأخير، حتى أنه لم يعـد يتردد علـى عيادة علـي كالسابق، ورغم محـاولات نورسين الكثيرة في التواصـل معه إلا أنها فشلـت جميعها.. بحثت عنه علـى مواقع التواصل الإجتماعـي، وقـد عثرت عليه لكنـه لم يكن من المهتمين بهـا؛ فآخر ما قام

بنشره كان عام ٢٠١٦.. أحبت الأمر؛ من النادر في عصرنا هذا أن تجد من يُهمّش مواقع التواصل.

****

بالنسبـة لـ علي فكان تطور حالاتهم بالنسبـة له إنجاز يستحق أن يُكافأ لأجلـه؛ فأخذ إجازة من العمل لمدة ثلاثـة أيام.. على الرغم من أن الإنجاز الحقيقي يعود لنورسين، لكن ذلك لا يمنع أنه أدّى دور كبير.

أعد كوب من الشاي بالنعناع ثم قام بتشغيل أغنية لطالما سمعها، لكنها المرة الأولى التي يسمعها بذلك الاندماج؛ نظرًا لتقاربها الشديد من الموقف.

"أشكر جروح من غيرها ما كنت زماني في مكاني
عجبي على نهاية طريق يبدأ طريق ثاني"

بـدأ بإرتـداء ملابسه استعـدادًا للذهـاب إلى حفل زفاف نـدى -أخت نورسـين- فقد دعتهـم جميعًا للحفـل، وبالتأكيد لن يرفض دعوتها، وقف أمـام المـرآة يعدّل ربطة عنقه، وما أن انتهى حتـى نظر لانعكاسه، يفكر، ما الـذي سيحدث حينما يخبرهـا بحقيقة ما رأته بل ما عانته؟، هل ستغفر أم أن الغفران سَيبيت احتمال بعيد المنال حينها!، طرد جميع الأفكار من رأسه ثم انتهى من تعديل هيأته سريعًا، واتجه إلى الحفل.

في الناحية الأخرى، كانـت نورسين برفقة ندى في منزلهم؛ فقد رفضت أن تجلسـ في غرفـة تابعة للقاعـة؛ ظنًا منها أن الأفضل هـو توثيق لحظات تجهيزهـا كعروسـ في بيتهـا الـذي وثّق جميع ذكريـات طفولتهـا.. شعرت نورسـين وكأنهـا تراها للمـرة الأولى، لم تظُن يومًا أن أختهـا ستكون بذلك

الجمـال في الثوب الأبيض، كادت أن تسقط دمعة من عيناها لولا أن قابلتها حياة -زوجة أحمد- بزغرودة جعلت الدمعة تتحول بطريقة ما إلى ضحكات متعاليـة، وبعد مدة وصلت وَنس للمنـزل؛ فقد عرضت على نورسين أن تأتي للمساعدة، وفور أن فتحت نورسين الباب لم تتعرف عليها، فتساءلت بريبة:

- أيوة مين حضرتك؟

- أجابتها وَنس ضاحكة: أمشي يعني؟

تعرفت عليها من صوتها وقامت بإدخالها، ثم قالت:

- لبستي النقاب امتى؟، وليه؟، أوعي يكون اللي في بالي!

- لا والله أبدًا، بس أنا فعلا حبّاه، النهاردة أول يوم ألبسه

- عانقتها وهمست في أذنها: ألف مبروك يا قلبي

كانت وَنس ترتدي إدناء باللون الزهري يعتليه النقاب.

وكأن النقاب يغار على جمالها؛ فيُداريه؛ فتزداد جمالًا به!

- الله يبارك فيكي، فين العروسة؟

- جوة تعالي ندخلّها.. آه صحيح تعرفي يوسف وفرح هيجوا امتى؟

- يوسف كلمني من شوية وقالّي أنه في الطريق، وفرح هتيجي لنا على القاعة

- غمزتها نورسين وقالت: يوسف كلمك؟

- هههههههههه نخلّص بس فرح ندى ولينا قعدة

- هو اللي خلاكي لبستيه صح؟

- مخلانيش، هو ساعدني آخد الخطوة دي وأنا مقتنعة..

فقط شخص واحد قادر على تغييرك للأفضل؛ إن وجدته.. احرص على الحفاظ عليه.

ذهب الجميع إلى القاعة؛ استعـدادًا لزفة العروس، وحينها بدأ الجميع بالقدوم، ومنهم علي ويوسف وأيضًا فرح، لذا ذهبت نورسين لإلقاء التحية، فقابلتها فرح بالثناء علـى مظهرها، ولم تكُن فرح تبالغ؛ فقد كانت نورسين جميلـة بشكل مميز في ذلك اليـوم، فستانها الأزرق الـذي أظهر انحناءات جسدها بشكل أنثوي غير مبالغ به، والذي ناسب لونه، بشرتها بطريقة مثالية.

وبعـد أن هنـأ الجميع نورسـين متمنين العُقبـة لها، قـال يوسف موجهًا حديثه لـ وَنس:

- عايزك لحظة

رافقته بعيدًا عن ازدحام القاعة:

- عيب أوي نمشي والناس واقفة كده

- مقولتليش إنك هتلبسيه!

- عادي كنت عيزاها تبقى مفاجأة..

- أحلى مفاجأة في الدنيا

ابتسمت بخجل، ثم تركته؛ عائدة للقاعة، فلحق بها هو الآخر.

استمـرت طقوس الزفـاف بطريقة مثاليـة وجميلة، حتى جـاء أحدهم للطاولة التي جلست عليها نورسين وقاطعها، التفتت فوجدت أنه رحيم:

- ألف مبروك

- مكنتش متوقعة إنك هتيجي!

- مش إنتي بعتيلي مسدج على الفيس؟، يبقى كان لازم آجي

- متوقعتش تشوفها.. على العموم نوّرت

- أنا آسف على كلامي في آخر مرة

ابتسمـت له نورسين، ثم عادت لتجلس برفقـة أصدقائها. كانت سعيدة بمجيئـه أو على الأحرى سعيدة برؤيته، لكنها لا تعلم ما الذي يعنيه حضوره اليـوم.. هل تصالح مع ذاته وقرر العودة للحياة، أم أنه جاء ليعتذر ثم يعود لصدَفته وينطوي على ذاته غير آبه بالعالم المحيط.

بعـد دقيقتين بدأت أغنية هادئة ليبدأ العروسان بالرقص على نغماتها، بـدا المشهد مألوف، حتى ظهـر المُغني على المسرح، كان رحيم؛ حينها تحول المشهـد المألوف، لعرض خاص مقـدّم إلى نورسين. لازال يمتلك تلك النبرة المميزة في صوته منذ الصِغر، بل أصبحت أفضل من السابق!

كانـت أغنيـة اعتادت علـى سماعها ويبـدو أن أحدهم قـام بتجديدها اليوم، الجميع يستمع إليه وهم في غاية الابتهاج، خاصةً من يعلم سر رحيم مع الغناء.

****

انتهـى الزفـاف، وذهبت ندى إلى بيت زوجها لبـدء حياة جديدة، وعاد الجميع لمنازلهم.. انتهى الحفل وبقي صوت غنائه يتردد في أذنها بلا نهاية!

"نفسي أكونلك كل حاجة، وكل حلم بتناديه
كل كلمة بتقوليها، كل إحساس حاسة بيه
ذكرياتنا الحلوة تكتر، نفسي وإنتي معايا نكبر
نتسند على بعض يومها وتضحكيلي الضحكة دي"

لم تتمكن من منع ذاتها من محادثته، ففتحت هاتفها وكتبت له: "ضِفت

جو جميل أوي النهاردة، قدرت تعمل ده ازاي؟!"، أرسلتها ومن شدة إرهاقها خلدت للنوم.

ومـا أن استيقظت حتـى وجدت رسالتين، واحدة مـن علي والأخرى من رحيـم.. فتحت رسالة رحيـم بشغف وبدأت بقراءتهـا: "لأول مرة من كتير أوي أبقى عايـز أفرّح حد.." وقد فَعل؛ فرسالة واحدة منه جعلتها تقفز من السعـادة، على الأغلب هو لم يعُد لحياته بشكل كامل، ولكنه على الأقل أقدم على الخطوة الأولى وهي الأصعب دائما.. فتحت رسالة علي وقرأتها: "عايز أشوفك ضروري.. ينفع نتقابل؟"، أرسلت له نورسين: "ليه؟".

****

في تلـك اللحظـة كان علي يتناول الفطـور، حينها أتتـه رسالة نورسين؛ ليقابلها باتصال سريع منه، أجابت عليه بالسرعة ذاتها، سألته مجددًا عن سبب رغبته في مقابلتها، فأجاب:

- فاكرة الحالة الخامسة اللي قولت لك عليها؟
- أيوة
- هخليكي تقابليها.. فاضية امتى؟
- تمام جدًا.. بصراحة مش قادرة النهاردة من هدة الفرح، ممكن بكرة؟
- خلاص مفيش مشكلة، فين؟
- في كافيه قريب من بيتي حلو أوي
- خلاص تمام

أنهـى الاتصـال، وعـاد ليُكمـل طعامه لكـن قاطعه صـوت هاتفه الذي

أعلـن عن اتصال من شخص غير مرغـوب به خاصة الآن، كان اتصالاً من محمد.. قرر علي أن يجيبه بعد أن تجاهل اتصالاته السابقة مطولاً، فقابله الآخر بغضب قائلاً:

– مبتردش على مكالماتي يا علي!، فاكرني مش هعرف أجيبك يعني؟!

– أجابه بهدوء: وأديني رديت.. عايز إيه؟

– عايز أعرف إيه اللي قلَبك ١٨٠ درجة!، يا ابني أنا عايزك تفوق، باقي حاجة بسيطة والبحث يطلع للنور

– ما أنا فوقت فعلاً.. وأحب أقولك البحث ده ميلزمنيش

– إنت بتهزر بتقول إيه!، يعني إيه ميلزمكش؟، بعد كل التعب ده

– لا إلـه إلا الله، يـا سيـدي أنـا مستغني عـن تعبي ليـك، متضايق ليه دلوقتي.. مش ده اللي إنت عايزه!

– إيه اللي أنا عايزه؟

– أضـواء الشهرة.. على حساب بشر مش بتشوفهم غير فئران تجارب مش كده؟

– بـ رِضاهم يـا صاحبي، همـا معملوش كده لله وللوطـن دول قابضين وقابضين كتير أوي

– بس نورسين مقبضتش.. من ساعة ما فاقت وهي بتدفع وبس. بص يا محمـد أنا غلطـت إني قبلت أدخل لعبة زي دي وأنـا دلوقتي بصلّح غلطتي. ×جـاء ليُنهي المكالمـة، لكنه تذكر أمـرًا× نورسين لاقت كل اللـي هي شافته متسجـل على notes الموبايل، بتاريخ كانت هي فيه لسة مفاقتش.. ليك يد في الموضوع ده؟

– ضحـك بقوة ثـم أردف: الوحيدة اللـي مش عاملة باسـورد لموبايلها، وكان سهـل أقنـع مسـؤول الأمانـات يسلمنـي الموبايـل مُقابل شويـة فلوس حلويـن.. ولحُسـن الحظ مكنش فيه غير شوية خدوش كـده، عملت اللي أنا عايزه وخليت الراجل يرجعه مكانه تاني، بس إيه رأيك في صاحبك؟!

– رد بنبرة صارخة: مش ملاحظ إنك زودتها!، استفدت إيه إنت كده؟

– أجاب متعمدًا استفزازه: استفدت إن التجربة بقى فيها واقعية أكتر.. بـس اللي بوظهـا إني نسيت حـوار التاريخ ده، بذمتك مش لـو كان من غير تاريخ كانت صدقت إن هي اللي كتبـ...

لم ينتظـره علـي ليُكمل حديثـه وكان قد أنهى المكالمـة بالفعل؛ فقد رتب كثـيرًا لهـذه الخطوة، فهـو غـدًا سيُقابل نورسـين؛ ليخبرها بـكل شئ عن التجربـة، وأيضًا عمّا سُجل في هاتفها، لا يعلم كيف ستكون ردة فعلها لكنها على الأرجح ستكون أفضل من استمراره في الكذب.

****

(17)
المواجهة جزء من الحقيقة

جميعنا لديه أسراره الخاصة، ومهما بدتْ بسيطة للبعض، فهي في غاية الأهميـة لصاحبها، وعلـى الأغلب فلا أحد يفضّل كشـف أسراره للآخرين مهما كانت علاقتهم قوية.. لكن ماذا إن كان أحدهم يعاني ولن ينتشله من المعاناة سوى أن يُكشف أمرك؟

✍ **عزيزي القارئ:** ليس من الخطأ أن يملك المرء أسراره الخاصة، بـل الخطـأ أن يشاركها مع غيره، فكيـف لزجاجة مثقوبة مـن الطرفين أن تحافظ على الماء بداخلها؟!، فاحذر أن تقع في أمر يترتب عليه أذى شخص آخر.. فحينها ستخسر سرك وشخصك أيضًا.

في تمام الساعة المُتفق عليها، كان علي في ذلك المقهى ينتظر نورسين، لا يمكـن استخدام كلمة ينتظرها فقـد وصلت بعده بثوانٍ معدودة، وقف ليُلقي التحية، ثم قال:

- على معادك بالثانية

- طبعًا.. ها بقى هتيجي امتى؟

- هي مين؟

- الحالة الخامسة مش قولت لي إني هقابلها النهارده..

- اااااه، بصـي أنا كنت مأجل لقاءكم ده لحـد ما أشوف نتيجة تطبيق الفكرة، وشوفت، ×ابتسم× وانبهرت.. جاهزة تعرفي هي مين!

- أجابت بحماس شديد: جاهزة جدًا..

سألها أولاً ماذا سيطلبان، فطلبت هي كابيتشينو، وبما أنها مرته الأولى هنا؛ طلب مثلها.. وبعد عدة دقائق جاءهم النادل، و وضع المشروبين أمامهم ثم رحل، أخذ نفس عميق وبدأ حديثه بـ لكنة جادة قائلاً:

- قولـت لك إنها حالة مميزة.. وهي فعلًا كده، × صمت قليلاً× نورسين مصطفى الحالة الخامسة

- قاطعته بتعجُب: إيه!، لأ ثوانـ...

- قاطعها: سيبيني أكمل كلامي للآخر

- ابتسمت بلامبالاة وقالت: اتفضل

- dreaming control أو التحكـم بالأحلام.. عبارة عن مجموعة حاجـات في علـم النفس بيتم تطبيقهـا في نفس الوقت، ومـن خلالها يقدر الشخصـ يروح لعالم تاني هو اختـاره وده اللي إسمـه.. التحكم بالأحلام، بس الفرق بينه وبين الحلم الطبيعي، إنك بتنامي وإنتي عارفة هتشوفي إيه، وبتكـوني قادرة تتصرفي بدماغـك إنتي.. ده كان عبارة عن شوية كلام على ورق وصـل لنا بطريقة ما، وكان لازم يتجرّب على ناس بجد وده فعليًا صعب يتوافق عليه إلا لو كان لحالة طارئة زي اكتشاف عقار لمرض مزمن أو غيره، لكـن لبحـث زي ده كان من شبه المستحيل معمـل يقبل يخاطر في حاجة زي دي، وعشـان كـده تمت تجربته في السـر في مستشفى ما علـى أشخاص ما بمقابل مادي.. وده الملف اللي شوفتيه على الفلاشة اللي إدتهالك.

كان يتابع نظرات نورسين التي لازالت غير مدركة لما يتفوه به علي، ولكنه

كلمـا استمر في الحديث شعر براحة تُخبره أنه في الاتجاه الصحيح، وتوقفه عن الحديث يعني أنه أضلّ الطريق؛ لذا أكمل:

- فكـرة البحـث بتتم بعِلم المريض بـل كمان لازم يكـون فايق لأن ٨٠٪ مـن نجـاح التجربة بيعتمد عليـه، الموضوع كله بيتلخص في تلات خطوات أساسيـة: نصوّر لـه البيئة اللي عايزينـه يشوفها إما بالـكلام أو الصور أو أنـه يقـرأ عنها، في نفس الخطوة بنطلب منه يـردد شوية جُمل؛ عشان يقنع نفسه أنه اللي بيتحكم في الحلم، وطبعًا الـ mesmerism اللي هو التنويم المغناطيسي، وآخر حاجة بنلعب على الـ prospective memory اللي هـي الذاكرة المستقبيلة، عشـان نضمن أنه مينساش اللـي شافه بمجرد ما يفـوق.. والحقيقـة إن الموضـوع نجح، وأغلـب اللي مـرّوا بالتجربة مكنوش بيصدقـوا إن ده مجـرد حلم؛ وقتها كنـا بنوّري لهم فيديـو مسجل ليهم في بداية التجربة عشان يقتنعوا بالحقيقة.. ×سكت قليلاً×

- كمّل

- وقتهـا ظهـرت واحـدة comatose- في حالة غيبوبـة وكان تحدي بالنسبـة لنا، صح احنا منقدرش نطبـق التجربة على شخص ميت، لكن الـ coma غير كده، المريض بيكون حاسس باللي حواليه لكن مش قادر يتفاعل معاهم، ولو قدرنا نطبق التجربة على حالة زي دي هيبقى إنجاز كبير جدًا.. ×نظـر لها بأسـى× التجربة دي ترجع لدكتور زميـل، وتمت بمساعدتي لأني عندي علاقات كتير في المستشفى ساعدتنا نعمل ده من غير ما حد يحس، و..

- ابتسمت غير مبالية بكل ما قيل: وأنا اللي كنت comatose، مش كده!

- نظر بأسف: أيوة أخرج هاتفه وعرض عليه صورًا ثم وجهها لنورسين شايفة الصور دي.. دي الناس اللي إنتي شوفتيها في الحلم، دي ناس حقيقية والحوادث دي حصلت، لكن احنا غيّرنا في التفاصيل، بس الخلاصة واحدة، نورسين إنتي مش مريضــة ولا دي تهيؤات.. واللي متسجل على موبايلك ده، كتبه الدكتور المسؤول عن البحث، لكن أقسم لك بالله أنا مكنش عندي علم بالموضوع ده...

قاطعته نورسين وهي تلملم أغراضها بغير وعي:

- أنا لازم أمشي

لم تعطِه فرصة حتى لإيقافها، فقد همّت بالرحيل وتركته.. بدأت بالسير وحيدة في الشوارع تحاول ترتيب ما قيل لها، بل تتمنى لو أنه لم يُقال، يا ليته لم يعترف بالحقيقة، ماذا الآن؟، آصبحت هي المُذنبة هنا!

وفيــمَ أذنبت؟، فهــي لم تُجري البحث طمعًا في شهرة أو غيره، هي فقط أرادت للعــالم أن يتذكرهــم مرة أخــرى.. لم يُذنبوا ليُقتلــوا!، أليس أقل ما نقدمه لهم ألا ننساهم؟، أن تبقى ذكراهم في عقولنا وقلوبنا وعلى ألسنتُنا!، لكننــا لن نفعل طالما الأمر لا يمُسّنا بشكلٍ خاص، لذا أرادت نورسين تطبيق البحــث؛ لعل تذكرهم مرة أخــرى يُحدث فارق، وربما يغيّر أمرًا.. ولكنها لم تخضع للتجربة بعد حسب ما أخبرها به محمد، أو حسب ما يدّعيه!، توقفت عن السير واستندت على أحد عواميد الإضاءة في الشارع، ثم اتصلت به:

- ياااااه نورسين.. عاش من سمع صوتك

- إنت ازاي متقوليش إني دخلت التجربة!

– يبقى علي قالّك، تنهد وإنتي مضايقة ليه؟، مش ده اللي إنتي كنتي عيزاه!

– عيزّاه بس بعلمي.. أنا كنت قربت أتجنن، مكنتش قادرة أحدد إذا كان ده حقيقة ولا لا

– وده بالضبط المطلوب، كان لازم أجرب البحث على شخص مدة طويلة مـن غير ما أقولـه الحقيقة، وإنتي جيتي في الوقت المثـالي.. وكان القدر في صفّي؛ مقابلتك لـ علي ساعدتني أعرف تطوراتك

– بس ده مش من حقك، على أي أساس تدخل عقول الناس وتزرع أوهام فيها!

– مشـ ده هدفـك من البحـث؟، أنا مش بـزرع وهم، إنتـي اللي طلبتي تشـوفي ده تحديدًا، لكن بالنسبة لي، أنـا محاولتش أنقل كدبة لأي شخص، أنا كنـت بجرب عليهم مشاهد طبيعية، زي السفـر وغيره، وبمجرد اعتماد البحـث هيتم تطبيقه في مجـال العلاج النفسي وبس!، آه بالمناسبة كلها كام يـوم وبراءة الاختراع تطلـع وبإسمي.. وبعدها هعمل نـدوة لمناقشة البحث، أتمنى أشوفك هناك.. متأكد هتستفادي

ثـم أغلق الخط.. أرادت نورسين أن يتـم تطبيق البحث على كِبار البلد؛ ليقدروا ما مرّ به صغارها!، ولكن يبدو أنها أخطأت.. فما فعلته لن يفيدهم بـل ربمـا يؤذي المزيد، كما تـأذت هي بالخضوع لتلـك التجربة، كانت تظن أن حلـم قد يعطي أمـل لشخص، ويجعل آخر يُدرك خطأه، لكنها تناست أن الحلم ما هو إلا وهم سيتهاوى كما تهاوت الحقيقة من أذهانهم.

رفعـت نظرها لترى المارّة في الشارع، كلٌ في عالمـه الخاص، لا أحد يأبه بالآخر.. رأت فتاة صغيرة تركض سريعًا فتتعرقل في رباط حذائها المفكوك،

فتجـئ إمـرأة أخرى تجلس على ركبتهـا وتقوم بعقد رباط حـذاء الفتاة ثم تتركهـا وتمضـي في طريقها!، يبـدو مشهد بسيط لكنه يحمـل آلاف المعاني في عقـل نورسـين، ربما أرسل الله تلك المرأة للفتاة لتؤدي دور بسيط ألا وهو "تشكيـل عقـدة في رباط الحذاء" لكن من الممكن أنه حفظها من سقطة أليمة.. فذلك ما تؤمن به نورسين، لم نُخلق في حياة بعضنا البعض عبثًا.

****

مـرت ثلاثة أسابيع، ولازالت نورسين غير قـادرة على مواجهة علي، لذا كانـت تتجاهل اتصالاته، وأشغلت نفسها بقضـاء وقتًا مع عائلتها والتركيز علـى دراستهـا، كانت محادثاتها مع رحيم قليلة ولكنهـا كافية بالنسبة لها، فهـو الشخص الوحيـد الذي عارض رغبتـه لأجلها.. أو هكـذا تظن، وعلى الرغم من قلّة حديثهم؛ إلا أنها لم تشعر أبدًا أنه بخير، أرادت سؤال علي عن حالتـه ولكنه ليس من صالحها على الإطلاق.. في تلك الفترة ظلت تراودها أفكار حـول البحث وعلي وخضوعها للتجربة دون علمهـا -أو كما تتدّعي-، تُـرى ما الذي أوصل الأمـور لتلك الدرجة؟، اعتراف علي لهـا زاد شعورها بالذنب تجاهه، وإن كان غرضها خير، لكنها في النهاية كذبت!، انتشلها من تفكيرها القاتل؛ صـوت هاتفها معلنًا عن اتصال من وَنس، أجابتها برحابة صدر قائلة:

- الندلة اللي معدتش بتسأل

- والله غصـب عنـي طالع عينـي في الكلية.. المهم عنـدي ليكي خبرين أحلى من بعض

- قولي.. فرحيني

- الخبر الأول يوسف اتقدم لي وبابا وافق

- لولولولولولولولولولولولولـولي والله مـا قـدرت أمسـك نفسي، ألف مـبروك يا قلبي، وده ينفع برضه، الأخبار القمر دي تتقال face to face مش في الموبايل كده

- الله يبـارك فيكـي، مقدرتش أستنى لمـا نتقابل، اسمعـي بقى الخبر التاني على لسان يوسف.. واحد صاحبه مُقدم برنامج مش فاكرة إسمه إيه بس المهم يعنـي أنه مسموع، لما عرف موضوع التيـم بتاعنا حَب يعمل معانا لقـاء، ويوسف اتحمس جدًا للفكـرة، وشاف إنها مناسبة أوي عشان تحققي اللي إنتي عيزاه

- ده خبر حلو فعلاً.. بس مناسبة ازاي؟

- يعني نكبّر التيم، ويبقى كل اللي يقدر يساعد يتفضل، وكل اللي يعرف حـد محتاج مساعدة يبلغنا واحنـا نجمع أفكار ازاي فعلاً نساعده نفسيًا أو حتـى ماديًا.. زي مـا عملتي معانا كـده، يعني من الآخـر ميبقاش تيم اللي بيعمل كده، يبقى الشعب كله

- قالـت نورسـين والبهجة تعُـم أرجائهـا: دي فكرة حلوة جـدًا، ونعمل جروب على الفيس بوك؛ بما أنه أكتر منصة الناس بتستخدمها

- صح جدًا.. طالما إنتي موافقة يبقى نعرض الفكرة على التيم كله

- معاكي طبعًا

على الشمس أن تُشرق، مهما الليل طال، وعلى أحلامك أن تتحقق مهما

المسافة طالت، فكما تغيب الشمس كل يوم وأنت على يقين أنها ستُشرق مرة أخـرى، كُن علـى يقين أن حلمك سيُشرق، أنت فقـط تنتظر الوقت المناسب الذي سيختاره الله لك.

****

كان علـي يجلس على الأريكـة، يفكر في صحة ما فعلـه، فمنذ أن صارح نورسين بالحقيقة؛ وهي لا تجيب على مكالماته، وعلى الرغم من يقينه أن ما فعلـه هو الصواب إلا أن شعور الندم يتمكـن منه في بعض الأحيان، نظر في ساعة الحائط فوجدهـا السادسة مساءً، نهض مسرعًا؛ كي يستعد لحضور مناقشـة بحث محمـد.. فهو بالطبع لن يفوّت حدث كهـذا وإن لم يكُن يهمه بالدرجة الكافية.

وبالفعل في تمام الساعة السابعة والنصف وصل للمكان المقصود، واتجه فورًا لـ محمد وهو يحمل علبة شوكولاتة فاخرة، وقال بسعادة يصحبها استهزاء:

- دكتور محمد.. ألف مبروك على نجاح البحث
- التفت إليه متصنعًا الودّ: الله يبارك فيك يا دكتور
- اتفضل حاجة بسيطة كده بمناسبة المناقشة مدّ يده بـ علبة الشوكولاتة
- تعبت نفسك والله.. تترد لك في الأبحاث
- طيب استأذن أنا بقى، أنا قولت آجي أبارك لك على السريع وأمشي
- تمشي إيه!، ده لسة المناقشة مبدأتش..
- مـا أنا خايف بصراحـة حاجة توقع منك في النصـ وقتها مش هقدر أسكت وهضطر أعدّل على كلامك ×غمز له× مبروك يا دكتور

– أوقفـه قائلاً: هـو أنا مقولتلكش!، أنا أصلاً غـيَّرت في البحث.. ×نظر بلُؤم أقصد غيرت في مجالات استخدامه، إنت عارف بقى أنا لسة متجوزتش والطِب النفسي ده مش جايب همّه

– نظر له باشمئزاز وقال: شوف يا أخي أنا كل ما بشوفك بحس بحاجتين عكسـ بعض تمامًا، الحاجة الأولى: بحس بقرف إني عرفتك، والتانية بقى: بحس بسعادة أول ما أفتكر إني قطعت علاقتي بيك

خـرج من المبنـى عائـدًا لسيارته، وسـؤال واحد يـتردد في ذهنه: كيف اتخذ منه صديقًا لسنوات عدّة!، وكيف تمكن محمد من إقناعه بالعمل على البحـث، بالرغم مـن أن علي كان يتوقـع نيته من البداية، فبحـث كهذا إن اُستخـدم لمجالات أخرى سيحقق أرباح خيالية.. في الحقيقة كان الأمر على هـواء علي؛ فهو بشرًا في النهاية، يريـد لنفسه الأفضل وإن كان على حساب نفوس أخـرى.. ولكنّ نورسين استطاعت انتشاله من نفسه، فرؤيته لما مرت به؛ جعله يدرك أن النجاح مقابل معاناة الآخرين ما هو إلا فشل.

وها هي آتية على الذِكر، أضاء هاتفه باسمها؛ فأجابها مسرعًا، لتخبره أنها تودّ لقائه الآن إن كان وقته يسمح، وبالطبع لن يرفض لقاء انتظره منذ مدة ليست بقصيرة!

تقابـلا في المقهى ذاته وعلى الطاولـة ذاتها، دام الصمت بينهما لولا أن نورسين بدأت الحديث قائلة:

– خلاصـ أنـا هبدأ.. كنت ناوية أتجنبك الفـترة دي، بس لقيت كده إن كل الطرق تؤدي إليك، أنا مصلحجية بقى تقول إيه!، تعرف.. أنا اللي كتبت لك: عندي إقتناع تام إن لقاءنا وراه سر؛ وطلع معايا حق..

– قـال بأسف: نور أنا عارف إنك مضايقـة مني وحقك جدًا مقابل اللي إنتي عشتيه الفترة اللي فاتت و..

– قاطعتـه: دكتـور علي إنت مسألتش نفسك أنا ازاي كنـت بالهدوء ده لمـا حكيـت لي!، المفروض حد تاني في مكاني يسأل مليـون سؤال في الدقيقة مش كده؟، نظر لها متسائلاً الحقيقة مكنتش أعرف إني ضمن اللي خاضوا التجربة.. بس كنت عارفة البحث كله من أوله لآخره

– لا لا لا ثواني كده.. بحث إيه ده اللي تعرفيه!

– dreaming control أنـا صاحبة البحث، وأنا اللي إديته لدكتور محمـد عشان يطبقـه عملي.. كنت عايزة الناس تحسـ بغيرهم بجد، إنهم يمـرّوا باللي غيرهم مر بيه بس يكونـوا جوة الحدث مش مجرد مشاهدين، وقـدرت أحقـق ده على نفسي ونجح جـدًا، لدرجة إني مقدرتش أعرف أنه مجـرد وهـم وأنـا أصـلاً صاحبة الفكـرة!، وقتهـا ظهرت لي إنـت وقدرت تساعدني إني أحقق رغبتي بطريقة مختلفة، نجحِت!، وبتنجح..

– قـال بنفاذ صـبر: كل ده ميهمنيش، اللي يهمني دلوقتـي إنك كدبتي عليا.. وأنا صدقتك

– أجابتـه بانفعـال مصحوب بـتردد: لا مكدبتش.. أنـا لحد آخر لحظة مكنتش أعرف إني دخلت التجربة أصلاً، وعشان كـده مكنتش فاهمة اللي بيحصـل وده سبـب زيـارة أمي ليـك واللي منهـا اتقابلنـا، ومعرفتش إنك مشترك مع دكتور محمد غير لما شوفت البحث في الفلاشة، ×صمتت قليلاً× ثم يـا دكتور.. إنت كنت عارف حقيقة اللـي بيحصل لي وسكت!، يبقى مين اللي بيكدب..

– شعـر بهزيمته في الحوار، فبدأ السرد: مكنتش فاكر إسمك حتى، قبل مـا والدتك تيجي لي وتحكي لي عن حالتك اللـي مطابقة تمامًا للحالة اللي أجرينا عليها التجربة؛ وشكوكي إتأكدت لما عرفت اسم المستشفى اللي كنتي فيها، وأثبت لي أكتر بياناتك اللي عندي، واللي أخدناها لكل شخص خضع للتجربة.. وفي الآخر اتضح إن كلنا كنّا في مركب واحدة

– أنـا أهوَن لي أنـط وأغـرق ولا إني أكون معاكم في نفـس المركب.. أنا كان غرضي الناس اللي عايشة حياتها تفتكر اللي خسروها، واللي بيخَسّرُوا النـاس حياتهـم، يجربوا إحساس إن هما اللـي يخسروها، لكـن إنت كان غرضك إنت وبس..

– تمام يا نورسين إنتي فُزتي

نهض ليرحل فأوقفته نورسين قائلة:

– لا أنـا مش هقبل تكون دي النهاية.. أنـا لسة عايزة أحقق هدفي سواء بالبحث أو من غيره، لازم نكمل التيم بتاعنا ونستمر فيه

– نورسـين افهمـي انطـلاق البحث ده بقـى خطير.. أنا عـارف محمد ممكن يستخدمه في إيه وده هيوصل بالناس لفين.

– مش هيقدر يستخدمه في أي حاجة غير العلاج النفسي.. هو مضالي على ورقة بـ ده في مقابل إمضتي على ورق يثبت أنه صاحب البحث والوحيد؛ يمكن وصلّك أنه هيستخدمه في غير كده عشان يستفزك

– الوحيد!، أفهم من كده أنه كان عامل حسابه أني مش معاه من البداية، أمال ليه كان بيحاول يقنعني أكمل معاه؟

– أكيد عشان يقدر يعرف أخباري منك، ولما عرف إنك قولت لي لقى إن وجودك معدش هيفرق..

– ياااااه ده الواحد كان مغفّل بقى

– اختصارًا لكل اللي حصل ده، أنا عايزة نعدّي المواقف اللي حصلت دي ونستمـر في اللي بدأناه؛ لأن دي الحاجة الوحيدة اللي كلنا كنا صادقين فيها ونوايانـا صافية من ناحيتها.. أنـا كلمتك عشان أقولك إن في حد من طرف يوسف، هيساعدنا نعرّف الناس فكرتنا، هو مقدّم برنامج وعايز يستضيفنا في حلقة، وده مش هيتم غير وحضرتك معانا. قولت إيه؟

لم يكُـن أمام علي خيار آخر؛ فكما قالت نورسين إنه الشئ الوحيد الذي أحبّ فعله وفي الوقت ذاته يُمارس فيه مهنته، لذا أخذ نفس ثم قال:

– موافق

– الحمد لله، كده نقدر نبدأ

بـدأت بسرد حوارها مع وَنس على مسامِـع علي، وكذلك ذكرت له فكرة ×جـروب× الفيسبـوك وقـد نالت إعجابه لدرجـة قادرة على رفـع حماسها للسماء، قالت معلّقة على حديثهم:

– المشكلة بقى، مهما فكرت مش عارفة ألاقي اسم للتيم وللجروب

– أنا عارف هنخلي اسمه إيه..

– قالت بحماس: إيه!

– فاكـرة في بدايـة التيـم خالص قولتـي لي عايزين نشتغـل على فكرة معينة، الفكرة دي هتكون الإسم، نظرت له بغير فهم أفكرك.. الحياة حلوة

- ضحكت بشدة ثم أردفت: مش أوي

ساد الصمت ثوانٍ، حتى تحدثت نورسين قائلة:

- تعرف حاجة عن رحيم؟

- بشوفه في الجلسات.. بتسألي ليه؟

- أصلـه مختفي تمامًا فقلقت عليـه، كلنا قلقنا يعني.. كـ طبيبُه تفسر بـ إيه رجوعه للغناء؟

- هو عمل حاجة بيحبها وكان منقطع عنها من سنين، بس مكنش مبسوط، من وجهة نظري رحيم معملش كده عشان هو عايز يرجع زي الأول وعادي..

- متكلمتش معاه فيها؟

في تلك اللحظة سرحَ علي قليلاً وتذكر لقائه الأخير مع رحيم:

- تعرف إن كان صوتك حلو جدًا لما غنيت، كنت مبسوط أوي إنك رجعت لهوايتك

- أجابه بصرامة: مرجعتش يا دكتور..

- أمال غنيت ليه؟

- ابتلـع ريقـه ثم قال: عشانها.. هي قدرت تنجـح مع الباقي، مش عايز أكون أنا نقطة الفشل في حياتها.

- سأله مازحًا: أوعى تكون بتحبها!

(18)
إدراك حقيقة المشاعر

للبدايـة بريقها الخاص الذي سيُجبر مشاعرك على الفيضان، لكن بعد إنتهـاء البريق، ستنتهي المشاعـر وسيهدأ الفيضان؛ لـذا لا تنبهروا بجمال البدايـات وتظنوا أنهـا دائمة.. فكما قولنا سابقًـا لا تنبهروا بحلو البدايات فتُصدموا بمُر النهايات، فمن يُحب الشمس وقت الشروق لن يطيقها أثناء الظهيرة.

- سأله مازحًا: أوعى تكون بتحبها!
- وافرض حصل؟، تفتكر هقدر!، ولا هبقى بربطها جنبي بحبل دايب!
- أنا مش هفرض حاجة.. بتحبها؟
- مش عارف يا دكتور، بس مجرد ما بسمع اسمها بتهز..
- ابتسم علي ثم أردف: بس أنا عارف يا رحيم..

قاطعت نورسين حبل أفكاره؛ لتعيده إلى أرض الواقع قائلة:

- سرحت في إيه؟
- نور إنتي حبّيتي قبل كده؟
- إيه!، لأ.. بس ليه؟
- طـب لو قولت لك إن في واحد بيحبك وبيكابر نفسه ومش قادر يعترف لك، هتعملي إيه؟
- دكتور علي إيه الكلام ده!، أنا همشي
- رحيم بيحبك وأنا واثق من اللي بقوله ليكي

- أجابت بصدمة تصحبها ابتسامة حاولت منع ظهورها: مين!!

- خايف يصارحك لأنه شايف أنه هيئذيكي.. هو متلغبط

- أيوة بس حضرتك بتقولي الكلام ده ليه؟

- لو الإحساس متبادل فـ إنتي الوحيدة اللي هتقدر تساعده

احمّر وجهها من الخجل ولم تجد ما تقول، فقال علي بدلاً عنها:

- عرفتي تخبّي إنك صاحبة البحث، بس فشلتي تخبي مشاعرك..

- مشـ بخبّـي بس أنا فعلاً مش متأكـدة إذا كان كلامك صح ولا لأ.. أنا معرفوش كويس ولا اتعاملت معاه بالدرجة الكافية اللي تخليني أقول بحب!

- لـو عايزة نصيحتي.. الحـب بالذات مش محتاج كل الهري ده، بس ده ميمنعش أبدًا إنك تاخدي الوقت اللي يريحك عشان تحددي، ×ساد الصمت قليلاً× شكرًا إنك صارحتيني..

- مكنش ينفع أكمل كدب، ×ابتسمت× شكرًا إنك قبلت نكمّل وسامحت

❋❋❋❋

بعد انتهاء لقائهما عاد علي لمنزله وهو يشعر أن اليوم كان من أقسى أيام حياتـه، مشاعره متداخلة لدرجة يصعـب عليه تحملها، غاضب من صديقه الـذي أظهر له اليوم كم كان أعمى عن قباحتـه، وسعيد أنه عرف حقيقته، غاضـب من كونـه شعر بالذنب تجاه نورسين وكانت هـي وراء الأمر كله من البداية، وسعيد أنه لم يعد يخبئ شيئًا وأن علاقتهم عادت كما السابق شعور الشئ وعكسه في ذات الوقت؛ هو ثاني أكثر شعور مُربك بعد الحب.

❋❋❋❋

في اليوم التالي استيقظت نورسين متأخرة عن محاضرتها فقد استغرقت وقـت طويل حتـى خضعت للنوم؛ لم يكُف عقلها عـن التفكير في حديث علي للحظـة واحدة، وفي النهاية لم تصِل لحل يُريح عقلها وقلبها معًا، طلبت من الله أن يعطيها إشارة واحد ترشدها إلى الفعل الصحيح.. ويبدو أنه حدث!

مـا أن أنهـت محاضرتها وخرجـت، حتى وجدت رحيـم يقف في الجهة المقابلة، ويُمسك بهاتفه، في تلك اللحظة تلقت رسالة منه محتواها: "عاملة إيـه؟"، فأرسلـت له: "بصـ قدامك.." وظلـت تراقبه حتى فتـح الرسالة، ولكنـه لم ينظر وأرسل لها مجددًا: "يعني إيـه؟"، لتجيبه: "بتعمل إيه قدام كُليتي؟"، في تلك اللحظة رفع رأسه عن شاشة الهاتف ونظر أمامه ليجدها، سار باتجاهها حتى أصبح مقابلها تمامًا وقال:

- كُليتك قريبة من السكن بتاعي..

- رفعت حاجبها وقالت: إنت بتدرس هنا في الجامعة!

- أيوة وعايش هنا كمان

- وليه مش قاعد مع أهلك؟

- أنا مرتاح أكتر كده

- وهما مرتاحين؟

- ولو لأ يعني.. ما أنا عملت حاجات كتير عشان راحتهم ومرتاحتش

لم تُعلق على حديثه، وأخبرته بأمر اللقاء التلفازي وأهمية وجوده معهم، فأجابها قائلاً:

- وجودي مش هيفيدكم.. أنا منجحتش ولسة زي ما أنا

– مشـ لازم عشان تنجح تغيّر حياتك يعني!، عُمر النجاح ما بييجي من أول مرة.. صدقني وجودك مهم جدًا، والأهم منه إنك اعترفت إن اللي إنت فيه ده مش نجاح

لم تجد منه ردًا؛ فأكملت:

– إنـت عارف إن الانتحار حرام ومع ذلـك حاولت تنتحر؛ ده معناه إنك مش واثق في ربنا مش كده؟

– رد باقتنـاع تـام: لأ.. أنا مش واثق في الحيـاة واللي فيها، لكن واثق في ربنا جدًا؛ وعشان كده واثق أنه فاهمني وحاسس بيا وهيغفر لي

– ابتسمـت بانتصار ممزوجًا برقة، وقالـت: شوفت شيطانك بيضحك عليـك ازاي!، لو إنـت فعلاً واثق في ربنا عُمرك ما هتقلـق من الحياة؛ لأنها أصـلاً من صنعه وتدبـيره.. فعلاً ربنـا فاهمك وحاسس بيـك وعشان كده بيحُطّك في الموقف ده، لأنه عارف إنك قده.

– يمكـن فعلاً أكون قده، بس طاقتي استُنفذت، مش قادر أخوض معركة جديدة أنا عارف إني خسران فيها

– لما تدخل معركة وتموت هيتقال عليك شهيد، لكن لما تنسحب هيتقال جبان!

لم يُبدي أي تعابير تجاه ما قالته، بل صمت قليلاً ثم قال بشكلٍ مفاجئ:

– أنا بحبك، بس حتى دي مش مُستعد لها

– أجابـت بثبات: لو مش مستعـد لها مكنتش قولتها.. إنت بس مش قادر تصـارح نفسك إن في حاجة علّقتك بالحياة، لو عايز نصيحتي راجع نفسك وحـاول تلحق اللـي فاضل من حياتك عشـان ميضيعش زي اللي فات، عن إذنك بقى عشان أروّح.

تركَته واقفًا ورحلت؛ عائدة لمنزلها.. شعرت بارتباك شديد تجاه حديثهما معًا، كانت بحاجة لمشاورة أحدهم؛ لذا لجأت لوالدها فور وصولها، وروَت له ما دار بينهما من حديث، في الشرفة كعادتهما:

- إيه رأيك؟

- رأي مش مهم دلوقتي، المهم رأيك إنتي

- يووه يا بابا أمال أنا بحكيلك ليه!

- عشـان تفضفضـي وتطمنـي إني في ضهرك، ابتسم يعنـي أنا دلوقتي لـو قولت لك اقطعي علاقتك بالولد ده نهائيًـا هتعملي كده؟، أدارت وجهها وضحكـت شويـة يا نـور إنتي طول عمرك دماغك ناشفـة وبتعملي اللي إنتي عيـزاه ودي حاجـة على الأغلـب مش بتكون حلـوة، بس للأمانـة عمرك ما خذلتينـي ودايمًـا كنتـي بتثبتيلـي إنك صح، أنـا كنت معارض إنـك تقابلي الدكتـور ده، بـس كنت عارف إنك برضه مش هترتاحـي غير لما تعملي اللي في دماغـك، قولت طالما مش غلط خليها تجرب، والحقيقة إنك فاجئتيني.. روحـك بقت أحلى وطلعتي بفكرة جميلة ساعـدت اللي حواليكي وده انعكس عليكـي بالإيجـاب؛ وعشان كده أنـا بقولك اعملي اللي إنتـي شيفاه مناسب ومتأكـد إنك هتاخدي القرار السليم.. بـس طبعًا إنتي عارفة اللي بيحب ده بيعمل إيه

- طبعًا عارفة..

- طب يلا نطلع أحسن أمك تزعل عشان سايبينها لواحدها

- هقفل البلكونة وآجي

أن يكون هنالك من يشـاركك أهم تفاصيل يومك هو أمر مُريح، خاصة إذا كان ذلك الشخص يحبك.. بل هو أكثر شخص سيُحبك مهما كثُرت معارفك.

****

مـرّت فـترة على لقائهمـا الأخـير ولم تلقَ منـه رسالة؛ لـذا توقعت أنه اختـار الانسحاب، ولكن قلبها كان يرفض الاعـتراف بهذه الفكرة؛ فقررت إعطائـه فرصة أخرى، فاليوم سيذهب الجميع للقـاء التلفازي وربما يأتي، فهو على علم بالموعد.. وصل الجميع وكان رحيم من ضمنهم لكنه لم يُعِرها أي انتبـاه، لم ينظـر لها ولو علـى سبيل الصدفة؛ لكنهـا لم ترغب أن يُفسد تجاهلـه لها، سعادتها باللقـاء؛ فقد سار على نحو جيد، وتمكنوا من إيصال هدفهم بطريقة بسيطة ودون تكلُف مصطنع.

بعـد ذلك اللقاء ازداد عدد المنضمـين لمجموعة الفيسبوك الخاصة بهم والتـي سُميـت بـ "الحيـاة حلوة.. مشـ أوي" وتمكنوا من مساعـدة الكثير، والكثـير ساعدوا الآخرين وبـات الأمر مهنة أكثر من كونـه تطوع، وراتبهم الشعور بكونهم مفيدون، ولا يعني ذلك أن فكرتهم خلَت من استهزاء البعض وكلماتهـم المُحبطة ولكن كما المعتـاد الحياة لا تسري على خطٍ مستقيم.. فـ عليك أن تقابل السئ؛ لتستشعر قيمة الجيد.

****

لازالـت أخبـار رحيم منقطعـة عن نورسـين، وحتى علي لم يعـد يراه.. تأكـدت ظنونهـا حينها. انتهت اختبارات الترم الثـاني وفي كل يوم تمنت أن تخـرج من اللجنة فتجده ينتظرها، أو حتى على سبيل المصادفة، ولكن ليس

كل مـا نتمناه يتحقق!، بعد انتهاء امتحانات وَنس بثلاثة أيام تم عقد قرانها علـى يوسـف، وكان ذلك أكثر الأشيـاء بهجة لنورسين، بـدَت وَنس كالملاك في نقابهـا الأبيض، وبـدا يوسف فخور!، فلا يوجد وصـف مناسب لسعادته ونظراته لها سوى الفخر، وكأنه يراها غنيمة بعد حربٍ شرسة.

وفي وسط انشغالهـم بالاحتفال اقترب علي من نورسين؛ طالبًا التحدث معها، فوقفا أمام باب المنزل؛ ليبتعدوا عن ضجيج الحفل، ثم قالت:

- خير في حاجة؟

- في حد عايز يكلمك

لم يُعطِها فرصة للاستفسار، و وجّه لها هاتفه، فأخذته وأجابت بريبة:

- ألو..

ليُجيـب صوت قد سمعته من قبل لكـن ذاكرتها لم تساعدها في التذكر، حتى أعلن المتصل عن هويته قائلاً:

- أنا والِد رحيم

- بدا على وجهها علامات الصدمة: اااه أهلاً ازيّ حضرتك؟

- أنا بخير الحمد لله، الحقيقة أنا كنت عايز أشكرك جدًا على المجهود اللي عملتيه

- عقدت حاجبيها وقالت: مجهود إيه؟

- إنـك كنتـي السبب بعد ربنا إن ابني يكلمني بنفسه لأول مرة من زمان أوي، يمكن تبان لك حاجة بسيطة، بس معناها في قلبي كبير أوي.. أنا كنت حاسـس إن فيه سـور من حديد اتبنى بيني وبينه لا يمكـن حاجة تهدّه، بس طلعت غلطان

– الحمد لله، حقيقي مكالمة حضرتك فرحتني جدًا، وأنا معملتش حاجة والله.. دي إرادة ربنـا. وبـاذن الله قريب أوي علاقتكـوا تبقى أحسن بكتير من الأول

– الله يخليكي لأهلك يا بنتي

أغلقت الخط وهي لازالت مصدومة من المحادثة، نظرت لـ علي بسعادة وعتاب قائلة:

– إنت مخبّي حاجات كتير على كده!

– مشـ كتير أوي يعني، بصراحـة رحيم كان بيجيلي في مواعيد جلساته عـادي وبكلمه بسـ هو اللي طلَب معرفكيش، كان عايـز يشوف الأول هيقدر يصلّح حياته ولا لا.. كان خايف يوعدك بحاجة وميعرفش يعملها..

– ابتسمت: يكفيني أنه كان بيحاول

– بصراحـة هو فاجئني جـدًا، أنا كدكتور اكتشفـت إن في مرضى كتير مش محتاجين طبيب قد ما هما محتاجين دافع

قابلهم رحيم على الدرج وكان يضع شئ خلف ظهره، قاطع حديثهم بجملته:

– بتجيبوا في سيرتي وأنا غايب

نظر لـه علي وغمز له، ثم إستأذنهم ليعـود للحفل، ظلّت نورسين واقفة تنتظره أن يبدأ الحديث، حتى فعل:

– عاملة إيه؟

– الحمد لله.. مبسوطة جدًا إنك كلمت باباك

– مكلمتوش لله وللوطن

- أمالت رأسها بتساؤل: قصدك إيه!

- تقدري تقولي رشوة.. حاجة مقابل حاجة

- وإيه المقابل اللي إنت مستنيه؟

- آجي أتقدم لك، ×لم يجد ردًا منها لدقائق× أنا عارف إني مش شخص مثالي للارتباط، وإني لسة مش جاهز كفاية، ومش عارف حتى الخطوة دي صـح ولا لأ، وعـارف إن حقك تترددي بس إنتـي قولتيلي مضيعش اللي جاي من حياتي عشان مندمش.. إنتي حياتي الجاية يا نورسين

صُدمت مما سمعتـه على الرغم من أنها على عِلم بحقيقة مشاعره، إلا أن مصارحتـه لها اليوم والآن تحديدًا جعلتها عاجزة عن الحديث، فتحدث بدلاً عنها:

- طيب حبيت أطلب إيدك بطريقة مميزة شوية

أخـرج ما يخبئه خلف ظهره، وبـدأ بفَك التغليف الذي يحيط به، لتظهر لوحـة مرسومـة لنورسين، بل أنها تبـدو أجمل، من ينظر إليهـا يشعر بدقة التفاصيل؛ لدرجة تجعله يظن أنها تتحدث!، أمسك اللوحة وركعَ على ركبتيه وقال:

- موافقـة؟، ×ظلّـت صامتة أثـر الصدمة× لأ وحياة أبوكـي انطقي؛ أنا رجلي وجعتني

- حلوة أوي حقيقي، إنت مش متخيل أنا فرحت ازاي..

- نهض عن الأرض: ادعي ربنا يقدرني وأقدر أفرحك دايمًا

- ابتسمـت: عايـزة ورد أحمر مش بحب الأبيض، ولـو جبت أبيض مش هدخلك البيت

- يعني موافقة!

- نظرت للأسفل بحرج وقالت: يلا عشان تبارك ليوسف و وَنس وعـ....

- قاطعها بإكمال جملتها قائلاً: وعقبالنا..

استطاعت وأخـيرًا أن تذيب جبل الجليد الذي خبأ قلب رحيم لسنوات، أو ربما هو كان بانتظار من يحاول أن يصل لقلبه.. ليفتحه له دون أن يخشى شيئًا، فيضيف نكهة مميزة لحياته.

أنت لا تبغض الحياة، أنت فقط بحاجة إلى من يجعلها مميزة.

(19)
الكلمات صُنعت لننطقها

لم تُخلـق الكلمات لنخبئها، بل وُجدت لنفصـح عنها بألسنتنا، فالبعض تنقـذ حياته كلمة؛ وجـد فيها السبيل ليحيـا.. ولكن ليسـت جميع الكلمات حياة، فهنالك كلمات تؤذي وتجرح.

فأحرص على أن تكون سبب لحياة لا لموت.

تقـدّم رحيم لخِطبة نورسـين بعد لقائهم الأخير في حفـل وَنس ويوسف بثلاثـة أيام، ولم يتردد والدهـا في الموافقة فبعيدًا عن كونه يمتلك الصفات الأساسيـة التـي تجعلـه يوافـق، إلا أن ذلك يمكـن أن يتوفـر في الكثير من الرجـال، لكنه يمتلك ما هـو أهم.. قلب نورسين الـذي لم ولن يمتلكه سوى رحيـم. اتفقوا جميعًا على قراءة الفاتحـة والإكتفاء بتجمع بسيط في المنزل ليرتديـا الدبـل، وخـلال فـترة انضمام رحيـم للجيشـ -فقد أنهـى سنته الدراسيـة الأخيرة-، ستتولى نورسين وعائلتهما تجهيز المنزل؛ لتكون أغلب أمور الزفاف جاهزة حين عودته.

****

اليـوم طُلب من أعضاء فريق "الحياة حلوة" التجمع في موقعهم المُعتاد، وبالفعل حَضر الجميع.. بدأت نورسين حديثها:

- النهـاردة هنتكلم عـن نفسنا.. كل واحد هيقول كلمـة أثرت في حياته سواء بالسلبي أو الإيجابي، مين هيبدأ

– أجابت فرح: أنا.. بعد ما ربنا كرمني وقدرت أرجع لشغلي تاني، اتكرر قدامـي نفس المشهد اللـي أغلبكم ميعرفوش تفاصيله، بـس هتفهموه وأنا بحكـي، ضحكت بحزن شاب بيعاكس بنت وشاب تاني راح يدافع عنها، بس الجديـد بقـى إن أم الشاب اللي كان بيدافع عـن البنت كانت واقفة وندهت ابنها بسرعة وقعدت تقوله متدخلش واعمل مش واخد بالك، وهو لما اعترض علـى كلامها قالت لـه: يعني إنت عايز تنقذها وتخسـر روحك.. ولا تكونش عايـز تمـوت زي اللي ماتوا!، هنـا مبقتش عارفة أفكر، أكيـد مقدرش أقول لـو شوفت بنت في محنة متساعدهاش، وبرضه مقدرش أقول لأم متخافيش على ابنك وشوفيه بيدخل في مشكلة واسكتي..

– بـس تفتكري أنهـي أحسن يموت قدام الكُل وهـو بيدافع عن بنت، ولا يموت قدام نفسه عشان خاف وجري.. طب بلاش دي، تفتكري الست دي لو بنتها هي اللي بتتعاكس مش هتبقى بتتمنى أي واحد ابن حلال يبقى حواليها ويساعدهـا!، ربنا محطناش في حياة بعض زينة، كل واحد اتخلق له دور ولما دوره بينتهي ربنا بيسترد وديعته..

– أجابـت بسعـادة: بالظبـط وده اللي قولتـه لنفسي، وعشـان كده ربنا ساعدني أتخطى الموقف ده

– تدّخل رحيم: بالنسبة لي بقى، فـ في حد قالّي قبل كده: متضيعش اللي جاي مـن حياتك عشان متندمش، نظر لنورسـين وابتسم كان معاه حق، لما فكـرت لقيت إني كان في إيـدي حاجات كتير وضيعتها عشان مكنتش مُدرك قيمة حاجـة اسمها الوقت.. الحاجـة اللي مستحيل تتعوّضـ بخلاف أغلب الحاجات التانية

– علّـق يوسـف على حديثه: فعـلاً.. الحقيقة إن كل ساعـة بتضيع وإنت واقف مكانك، كانت هتفرق جدًا لو كنت اتحركت فيها

– رد علي: طب وإنت يا يوسف إيه الكلمة اللي أثرت فيك؟

– هي مش كلمة اتقالت لي، قد ما هي كلمة فهمت معناها متأخر الناس، الناس دول أخطر سلاح ممكن تقابله في حياتك؛ لأنهم مش بيقتلوك بطلقة ولا جرح.. دول قادريـن بكلمة يوقفوا حياتك!، يعني تخيل كده إرهابي يقتل جندي بمسدس مياه!، أهو كلام الناس كده بالظبط

– ضحكـت وَنس: أنـا بضُم صوتي لصـوت يوسف عشـان مفيش تعبير مناسب لرأيي أكتر من ده

– قال علي ساخرًا: كتبوا الكتاب وهيقرفونا بقى

– أجابـه يوسف: ولسة لما نخلف هدخل ولادي التيم وهنعمل لكم هيصة هنا، وبعدين بدل ما بتتريق يا دكتور قول لنا إنت كلمة أثرت فيك؟

– مشـ قـادر أقول إن في حاجة محددة، بس أكـتر كلام بيأثر فيا بشكل عام، لما بقدر أساعد مريض إن حالته تتحسن ويشكرني

– ردّ رحيم: يشكرك؟!، طيب أنا هفضل ساكت عشان مفضحكش

– لا أنا مش معاك في دي.. دكتور علي يستاهل كل كلمة حلوة

– نورسـين إنتي بتقولي كلام غـير اللي أنا بقوله!، طـب خدي دبلتك يا بنت الناس واتكلي من هنا

– رفعت حاجبها وقالت: لو جدع اقلعها كده

– تدخل علي: صلّوا على النبي مش جايين نتخانق هنا

- فين أيام ما كان التيم كله سناجل ولا وجع الدماغ ده

- قالـت وَنس مصطنعة الغضب: في إيـه يا فرح ما تراجعي كلامك قبل ما تقوليه

- تدخل يوسـف بمزاح: باااااااس اسكتوا، ده إنتـوا ما تصدقوا تلاقوا خناقة.. قولي يا نورسين كلمة أثرت فيكي

- مش كلمـة.. شخص، شخص حسسنـي إني مهمـة وإني لأول مرة أكـون رقم واحد في حياة حد، شخص حسسنـي إني قدرت أغيّر حاجة فيه للأحسن، إني أفرق في حياته

- نظر لها رحيم معدّلاً على حديثها: قصدك إنك حياته!

- قالت فرح مازحة: هو إنتوا يا بتتخانقوا يا بتحبّوا في بعض.. مفيش وسط!

انتهـت جلستهم التـي امتـلأت بضحكاتهم ومزاحهـم و ودّعوا بعضهم استعـدادًا للرحيـل ثم عاد رحيم لسيارتـه، وأخذ نورسـين؛ ليوصلها ولكنه سلَك طريق مُخالف لمنزلها، فقالت له:

- رحيم ده مش طريق البيت

- لا مهو احنا مش مروّحين دلوقتي

- أمال؟

- هنتمشى شوية فيها حاجة؟

- لا مفيهاش، بس أنا مقولتش لبابا..

- أنا قولت له وهو مقالش حاجة

- متأكد؟

- يعني هكدب عليكي يا نورسين، كلميه لو عايزة

- إنت بتتعصب عليا ليه دلوقتي؟!، بتأكد يعني محصلش حاجة..

- تضربي مانجا؟

- ضحكت وقالت: أضرب مانجا..

اتجها للمحل وأحضر لها العصير، ثم نزلا من السيارة؛ ليقفان خارجًا، فبـدأت نورسـين بالتقـاط الصـور لهمـا، حتى طلـب منهـا أن تتوقف عن التصوير؛ فهنالك ما يود إخبارها به، ففعلت.

- أنا مسافر عشان التجنيد بكرة

- أجابت بصدمة: إيه!، وليه مقولتليش بدري يا رحيم

- كانت هتفرق في إيه يعني غير إن قلقك يزيد كام يوم!

نظرت للأسفل بأسى وامتلأت عيناها بالدموع، فقال وهو ينظر إليها:

- شايفة القمر اللي فوق ده

- رفعت رأسها وقالت: ماله؟

- إسمـك معناه نـور القمر.. كنتي لي النور اللـي بيظهر وسط الضلمة، علـى عكس الشمس نورها قوي لمـا تبصي لها عينك توجعك، أما إنتي نورك هادئ؛ بيطمّن، ميضايقش

مسحت عيناها ونظرت له وهي تقول:

- القمـر مش هينوّر من غـير الشمس، مصدر ضـوءه الوحيد.. أنا من غيرك مش هنوّر يا رحيم

- أحسن برضه عشان متنوريش لحد غيري

تبدلـت دموعها بضحكاتهـا المتتابعة وهي معه؛ فقد نجح دومًا في جعلها سعيدة منذ أن صارا معًا.

ما أجمل الحب حين يصل للتعلق، وما أقبحه حين تُجبَر على الوداع!

صمتـت قليلاً ثم أخذت نفس يصحبـه اعترافها له بشأن البحث، بدايةً مـن لقائها بـ محمد، وختامًا بإنشاء الفريق، وظـلّ هو يستمع بهدوء وما أن انتهت حتى بدأ حديثه قائلاً:

– متأكـدة إن ده السبب الوحيد اللي خلاكـي تعملي البحث ده، بالجودة والتركيز ده كله!

– قالت بتوتر: ليه بتسأل السؤال ده؟

– ابتسـم لهـا وقـال: عشان مش مصـدق.. ×لم يجد منهـا ردًا× زي ما تحبّي، يلا عشان أوصلك

– أوقفته قائلة: هقولك.. بس إنت مش هتزعل مني صح؟!

– طالما حاجة فاتت يبقى متهمنيش

– أمال عايز تعرف ليه؟

– لأنك قررتي تحكي، فـ مفيش داعي إنك تخبي حاجة..

– تنهـدت ثم قالـت: اللي حصل مكنش مجرد صدفـة، كل حاجة كان متخطط لها

– عقد حاجبيه وقال: إزاي؟!

بدأت نورسين بـ سرد الحقيقة كاملة على رحيم لم تتوقع يومًا أنها ستجد

مــن تثق به لتلك الدرجة وتشاركه كل ما تحتفظ به من أسرار عنها وتغيرت توقعاتها فور دخوله حياتها، استمرت تروي له كل شئ حتى انتهت، لكنها لم تلقَ منه أي رد فعل، بل كان يسمعها بإصغاء وهدوء شديدين وانتظرها حتى أنهت حديثها ثم قال بالهدوء ذاته:

- أنا مقدّر اللي إنتي عملتيه.. لكن علي لازم يعرف الحقيقة يا نورسين

(20)
حـان دورك

علـى الرغم من كثرة المشاكل التي تواجهنا في الحياة، سنجد ما يهوّنها علينا.. مـن أشخاص، أو أحلام، أو مواقـف، أو جميعهم. فعليك إدراك أن كل مـن في حياتـك ما هـم إلا أدوار ستنتهي، وسيرحلون يومًـا، تاركين أثرًا فيك، وكذلك تاركين مكان آخر لغيرهم، وينطبق الأمر عليك.. لذا يجد بك أن تُحسـن التصرف؛ لتؤدي دورك على أكمل وجه، وتجعل من يلقاك يتمنى الجميع مثلك.

عزيـزي القارئ: أشكر وصولك لرسالتك الأخـيرة والتي أتمنى حقًا أن تضيـف تغييرًا في حياتك، انتهاءك من قراءة هـذه الرواية لا يعني النهاية، بل أنه يعني بداية رحلتك أنت، فأنت البطل الحقيقي؛ فالآن يحين دورك!

مـرّ شهر على دخول رحيم الجيش، ولازال كل يوم يمضي على نورسين كأنـه دهر، تخشى عليـه أن يصيبـه أذى؛ فتدعو الله أن يـردّه إليها سالمًا، تُشغـل عقلها عن القلق: بشـراء مستلزماتها ومُعاينـة منزلهم والبحث عن أثاث يناسب ذوقهما؛ لتُطمئن قلبها أن ما هي إلا أشهر بسيطة وسيعود ليتزوجا.

****

كان علـي يجلس في مكتبه بعد انتهاء آخـر موعد له اليوم، فأسند ظهره علـى الكرسـي وبدأ بقـراءة بعض الأخبـار التي تصـدرت الإنترنت الفترة الأخـيرة عن دكتور محمد وبحثه الذي حقق نجاحًـا عظيم في علم النفس،

شعـر بالسعادة أنه شارك في شـئ ساعد الكثير من الناس حتى وإن لم يكُن هدفه المساعدة في البداية، ولكنه الآن تغير. كم ستُسعد نورسين كثيرًا بذلك الخـبر، حتـى أن مجموعة الفيسبوك حققت نجـاح لم يتوقعه أحد، ولكنهم تمنوه جميعًا.

دخلت علياء المكتب بعد أن أذِن لها علي بالدخول:

- دكتور علي الجواب ده وصل لحضرتك من شوية

- قال مستنكرًا: جواب!، هو لسة في حد بيستخدم الطريقة دي؟!، عامةً شكرا يا علياء اتفضلي إنتي

خرجت علياء؛ عائدة لمكتبها، وحينها فتح علي الظرف وقد وجد بداخله رسالة مكتوبة بخط اليد فبدأ بقراءتها:

(مفيشـ حاجة حصلت بالصدفة، أنا اللـي قولت لأمي تروح لحضرتك وتحكي لك عن حالتي، بعد ما أدركت إن احتمال كبير محدش يجرب البحث مـن اللي أنا عيزاهم؛ قررت أغير الخطة، وبدل مـا أنتقم من اللي أجرموا في حـق ناسـ كتير، أحـاول أساعد الناسـ اللي ممكن تتعرضـ لحاجة زي دي في المستقبـل، والوحيـد اللي هيقدر يساعـدني في ده شخص له علاقات كتـير مـع ناس بتعاني بالفعـل، والشخص ده يبقى إنـت!؛ دكتور محمد قال إسمك قدامي في مرة وهو بيكلمك من غير قصد، وقتها بحثت عنك وقدرت أوصـل لك، وكنت عارفة إن لما ماما تحكي لك عن حالتي فضولك هيجبرك تكلمنـي، وحصل.. في الأول مثلـت عليك الرفض عشـان تصدقني وبعدها حكيـت لك كل حاجـة، وطلبت منك تساعـدني في فكرة التيـم وكنت واثقة

إن إحساسـك بالذنب هيجبرك توافق، وبرضـه حصل. أنا كنت عارفة إني خُضـت التجربة، معرفش إزاي صدقتـوا إني مش هعرف حاجة أنا عملاها بإيـدي وأنا كمان اللي مختارة أشـوف الشخصيات دي تحديدًا، بس عشان تقتنع أكتر كان لازم أمثل على دكتور محمد إني بسأل على المِعاد اللي هجرب فيه البحث على أساس إني معرفش إنه اتجرب عليا أصلاً؛ ودي كانت خطوة احتياطـي عشان لو حصل بينك وبينـه كلام في الموضوع ده يبقى السيناريو واحـد. وعشان أكون صارحتك بكل حاجة، السبب اللي خلاني أعمل البحث ده إني مـن أهـل الضحية اللـي مكملتش عشر سنين يا دكتـور، الطفلة اللي حياتها اتسرقـت منها قبل ما تبدأها وبطريقة بشعة، الحاجة الوحيدة اللي كانـت ممكن تمنعنـي عن كل ده إنهم يتعاقبوا علـى كل روح ماتت بسببهم، لكـن ده محصلش، وعشان محصلش ومشـ هيحصل؛ كل يوم حد يموت في حادثـة أبشع من اللي قبلها، ومحدش بيتكلم، احنا موجودين في حياة بعض ضيـوف شـرف ومش دايمين، لكـن ده مش معناه إن كلنا نبقـى بنأدي نفس الدور، أنا مقتنعة إن دوري مش السكوت!، وعشان كده حاولت أعمل حاجة.. مسـير دورك ينتهـي لكن أثـره هيفضل في اللـي حواليـك، وده اللي حاولت أعملـه وأمي ساعدتني في ده لما شافت كسـرة أم البنت، وكسرتها دي كانت إشارة إن دوري بدأ ولازم آدّيه على أكمل وجه.

وإن كان علـى الوجع اللي حسيت بيه في الحلـم وحكيتهولك، فأنا عِشت أضعافه في الحقيقة بعد موتها!

أنـا عارفة إني كدبت واستغليتـك وحقيقي أنا آسفة، لكن مكنتش شايفة

حل تاني.. وأظن النتيجة ممكن تكّفر لي عن اللي عملته مع حضرتك!)

بتمنى من كل قلبي إنك تسامحني..

نورسين مصطفى

****

في تلـك الأثنـاء كان يوسـف يجلس بقُرب وَنسـ في زيـارة عائلية لهما يتنـاولان الفاكهة ويشاهدان التلفاز معًا، حتى فتحـت وَنس هاتفها ووجهته لـ يوسف وهي تقول:

– شـوف برضـه الناس دي مفيش فايـدة فيها أبدًا!، يلاقـوا حد بيعمل حاجة كويسة مش يشجعوه لأ.. دول يحبطوا اللي خلفوه عشان يرتاحوا

– أجاب يوسف بابتسامة وتجاهل: يا حبيبتي كبّري دماغك، احنا بنعمل ده لربنا ثم للناس والحمد لله في كتير أو بيشجعنا وبيتسفاد ويفيد غيره.

– تدخلت والدة وَنس: هو إيه الحكاية يا ولاد؟

– ردّت وَنسـ: الجروب بتاعنا يا ماما، في ناس كده ربنا يهديها داخلة يا تتريق يا تشتم حاجة كده ملهاش لازمة

– ضحكـت أمها بشدة ثـم أردفت: هو الشعب ده كده ميسيبش حاجة إلا ويطّلـع القطط الفاطسة فيها، حتى لو بيعمـل نفس الحاجة، تلاقي الراجل بيتريق على ممثل ولا فيلم، وبعدها بشوية يروح يتفرج عليه..

– والله في دي عنـدك حق يـا حماتي، ما تغيّري لنـا المسلسل ده يا وَنس مبطيقش الواد ده

– الريموت عندك أهو هات اللي إنت عايزه

- ولا أقولك سيبيه أهو بيضحك

- قالت والدة وَنس: شوف الولد

****

وأمـا فرح كانت قـد أنهت محاضرتها للتو وتستعـد للرحيل حتى أوقفها أحد الأشخاص:

- كوتش فرح

- أيوة؟

- أنا نوران ودي أول محاضرة ليا معاكي..

- نورتي يا نوران، يارب تكوني استفدتي.. أقدر أساعدك في حاجة؟

- أجابـت بإحباط: كل حد بيدخل حياتي بضره وبأذيه من غير ما أكون قاصدة والله.. مش عارفة العيب في..

- قاطعتهـا بابتسامـة ثـم قالـت: مفيش حد مـؤذي بيسأل السـؤال ده وبيبقـى خايف يكون كـده!، وأوعدك إني هتكلم عن الموضـوع ده كتير الفترة الجاية متقلقيش

يبدو أنها مشكلة تُحل ولكنها لا تنتهي.. فور خروج فرح من المبنى قابلها الشاب ذاتـه الذي تأذت ساقه مقابل دفاعه عنهـا وبرفقته أحد أصدقائه؛ ليعاونـه علـى السير، مجـرد رؤيتها له جعلتهـا تتوتر وتزداد ارتبـاكًا وتُعاد تفاصيل الحادث في ذهنها، لكن ذلك لم يدُم طويلاً فقد تحدث الشاب قائلاً:

- مكدبش عليكـي في البدايـة كنت كاره اليـوم اللي شوفتـك فيه واللي حصـل لي.. لكـن كل ده اتغير، أنا جيت أشكرك؛ لـولا الإصابة دي وقعدتي

في البيت مكنتش قدرت أحقق حلمي اللي الشغل خلاني أنساه، رجعت أكتب شعر تاني ابتسم أستأذنك بقى عشان عندي حفلة إلقاء

كانت جملته بسيطة ولكنها سمحت لـ قلب فرح أن تزوره الفرحة مجددًا.

****

جلسـت نورسين على فراشها، تُفكر كيف ستكـون ردة فعل "علي" حالما تصلـه الرسالـة؟، فبعـد التحاق رحيـم بالجيش فكـرت كثيرًا فيمـا قاله؛ وأدركـت أنه علـى صواب، فمِن حق علي أن يعلـم الحقيقة، لكنها كذلك لن تتمكن من مواجهته لذلك لجأت لإرسال ما تود قوله كـ جواب مكتوب، إليه.

****

كانـت تلـك الرسالة نهاية علاقـة علي بـ نورسين، أو هكـذا ظنّت!، فقد قـام علي بتجاهل اتصالاتها، وأغلق عيادتـه معلنًا خضوعه لإجازة مفتوحة لا يعلم متى تنتهي، وسجّل خروجه من حساب الفيسبوك؛ منعًا من تلقي أي طلبـات بخصوص الفريق أو حتى عمله، بقيت نورسـين تزور محل عيادته؛ علـى أمـل أن تجـده قد عاد يومًـا، ولكن يبـدو أنه لن يغفر، ومـع ذلك فقد طلبـت من حارس العمارة التـي تكمن بها العيـادة أن يُبلغها فـورًا إن عاد علـي، تاركة معـه رقم هاتفها، وحاول الجميع كذلـك العثور عليه ولكن دون جـدوى. وقد استمر الحـال على ما هو عليه لمدة سنـة وأربعة أشهر كان قد أنهـى فيهم رحيـم جيشه، وفور أن علِم بما حدث جراء اعتراف نورسين ثار غضبًـا وحـاول مرارًا الوصول إليـه ولم يجده!، حتى استسلـم لفكرة رحيله أمـام الجميع، ولكن في الخفاء كان يحاول مجـددًا آملاً الوصول إليه.. إلى

أن جـاء اليوم الموعـود الذي تلقت فيه نورسين اتصـالاً من حارس العمارة؛ يُخبرهـا بعودة علي، كادت أن تقفز فرحًا ولكن سعادتها لم تُنسِها الاتصال بـ رحيم وإخباره فهي أكثر الأشخاص درايـة بـ مدى حزنه على غياب علي، وقـد كان، وفي اليـوم التـالي ذهبا قبل موعـد مجيئه وقد علمـا أنه لم يعلن فتح العيادة بعد لكنه أخبر الحارس بإحضار أحد لتنظيف المكان؛ استعدادًا لفتحـه، مرت نصف ساعة حتى سمعـا صوت المصعد معلنًا وصول أحدهم، وما أن فُتح الباب حتى تأكدا من هويته، لم يستطِع رحيم تمالك نفسه؛ فقد اندفع نحوه وعانقـه بحرارة كما لو أنه وجد أخاه المفقود منذ سنوات، ولكن لقاء علي لم يكُن بالحرارة نفسها، بل لم يصل لنصفها حتى!

بعـد أن ابتعـد رحيـم عنه، سار علـي ناحية البـاب ونظـر إلى نورسين بابتسامة لا روح فيها، ثم قام بفتح الباب ودعاهم للدخول قائلاً:

– معلش المكان مبهدّل، قولت للبواب يجيب حد...

– قاطعتـه نورسين قائلة: أنا آسفـة، حضرتك مش متخيل أنا اتضايقت ازاي لما اختفيت من وسطنا والتيم كله اتضايق زيي وأكتر كمان وطبعًا أديك شُفت رحيم عمل إيه لما شافك!

– بتعتذري على إيه يا نورسين؟، أنا كمان كدبت مش إنتي بس، على الأقل إنتـي كان عنـدك هدف كويس وراء استغلالك ليا.. حتـى لو الطريقة كانت غلـط، بس أنا.. ×ابتسم بأسى دون أن يُكمل جملته× أنا غيابي مكنش سببه الأساسـي إنتي، كنت محتاج أراجع نفسـي في حاجات كتيرة أوي، وبالنسبة للعيادة قفلتها عشان مكنش ينفع أفتحها غير لما أستاهل لقب دكتور.. دكتور

بيعالــج الناس مشـ بيستغلهم لصالحه، يمكن كدبك عليــا ضايقني وحرق دمي بس كان رد طبيعي من ربنا، أنا مش هينفع أبقى معاكم تاني

– بالعكــس حضرتك أولى الناس أنه يكـون وسطنا بعد كل المجهود اللي بذلته معانا

– تدخـل رحيم: مش إنت برضه اللي قولت لنــا إن بني آدم طبعه خطّاء ومش عيب إننا نغلط؟، كلنا غلطنا وإنت ساعدتنا كلنا نفوق ونرجع لحياتنا، نورسين غلطت في حقك واعترفت لك زي ما أنت عملت من قبلها، يبقى ليه بتلــوم نفسك دلوقتي؟، ويا عــم اعتبر اللي حصل كله درســ من ربنا نتعلم منه، لكن منوقفش عنده!

– وبتقــول على نفســك متستاهلش لقب دكتور؟، بص لــ رحيم وركز في كلامه ليك وحضرتك تصدق إنك من أحق الناس باللقب ده

– كلامكوا على راسي.. بس زي ما قولتي في رسالتك احنا ضيوف شرف في حياة بعض وكل واحد له دور، اعتبروا إن دوري انتهى!

– علّق رحيم: حلووو أوي الكلام ده، إنت دورك انتهى في حياتنا، ودلوقتي دورنــا.. بقولك إيــه يا دكتور من الآخر كده احنا مشـ ماشيين من هنا غير وإنت جاي معانا نحتفل برجوعك

– بالظبط كده، وبعدين لو مش عشان التيم، خليها عشاني.. الشاب اللي جنبك ده موّقف كل تجهيزات الفرح من ساعة ما رجع عشان مش عارف يوصلك

– طبعًــا!!!.. ده حتى لولا دكتور علي مكنش زمانّا عرفنا بعض يبقى ازاي نتجوز من غيره؟

- قال علي وقد بدأ يعود لسابق عهده: سيبوني مدة أفكر وهـ..
- على بركة الله، نقول مبروك ×نظر إلى علي× هاا١ يا عم التقيل، هنحتفل؟
- صمت قليلاً ثم أردف: هنحتفل يا رحيم..

****

وبالفعـل عـاد الفريق مكتمـلاً كسابق عهده، وكما أطلقـوا على فريقهم اسـم في محلّه "الحياة حلـوة.. مش أوي" فإن كنت تبحـث عن حياة وردية خاليـة من المشـاكل فأنت تبحث عـن سراب، فالحيـاة الحقيقية هي مزيج من التحديات والمواجهات واللحظات السعيدة والتقدم والسقوط والنهوض، إضافـةً إلى "ضيوف الشرف" في حياتك، فهُـم حتمًا يضيفون الكثير إليك ويغـيّرون العديـد فيـك.. فمن تجـده يؤخر تقدمـك أنهـي دوره في حياتك سريعًـا، وإن وجـدت من يدفعك للأمـام كلما انتهى دوره قُـم بإضافة جزء جديـد، وكُن دومًـا مصاحبًا لـ دور الخير؛ فـإن لم يتنصر الخير في الدنيا، حتمًا سينتصر في الآخرة!

وأخـيرًا.. عزيزي القارئ: إن كنت تملك القـدرة على مساعدة أحدهم فإيـاك والتردد، وإن كنت بحاجة للمساعة فلا تخشى طلبها ممن يقدمها.. فمساعدتك قد تُنقذ أحدهم من مصير مؤلم، وطلبك للمساعدة قد ينتشلك من أحداث أكثر ألمًا، واعلم في النهاية أننا لم نُخلق في حياة بعضنا البعض هباءً.

حان دورك لتروي حكايتك

تمت بحمد الله.

١٤-٦-٢٠٢٠

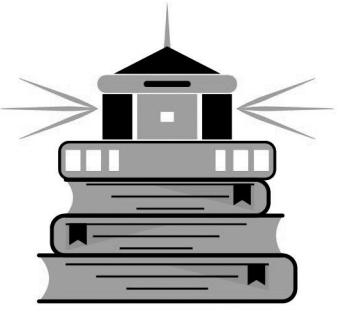

منشورات الفنار

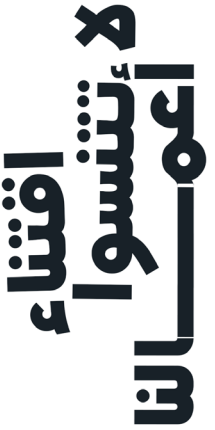

ترحب منشورات الفنار دائمًا بآراء، ومُقترحات قرائها الأعزَّاء، وتدعوهم دومًا لإفادتنا بملاحظاتهم لتطوير منتجها الثقافي على الدوام

راسلونا عبر بريدنا الالكتروني

elfnaar@gmail.com